الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: ...../2017

الهوية والتاريخ في رواية "الرميم" للأزهر عطية

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالبتان:
- حبيبة قريمد
- سلوى بن داس

إشراف الأستاذة:
سليمة خليل

السنة الجامعية: **2017/2016**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير :

قال الله تعالى :" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"

- سورة المجادلة الآية – 11 - .

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا البحث ، فالشكر له أولا وآخرا ، وسبحانه الذي سخر البشر لبعضهم

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذة / **سليمة خليل** التي قبلت الإشراف على بحثنا منذ البداية إلى النهاية دون ملل أو كلل، وعلى هامش الحرية الكبيرة التي تركتها لنا في إنجاز هذا البحث، ومهما تحدثنا فلن نوفيها حقها من الثناء فألف شكر وتقدير .

نتوجه بجزيل الامتنان والتقدير والعرفان إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على تشريفنا بمناقشة هذا البحث؛ الأستاذة الفاضلة: **وفاء مناصري**، الأستاذة القديرة: **سعاد بولحواش**.

كما لا يفوتنا أن نشكر الأستاذ / **عبدالواسط طلحة**، كنت خير سند لنا .

ونتوجه بالشكر إلى كل أساتذة التخصص : أدب حديث ومعاصر : **د / عامر رضا** ،أ د / **رابح الأطرش**، د/ **حنان بومالي**، د/ **إبراهيم لقان** ، د / **سليمان مودع** ، أ/ **بن جامع يوسف** . أ/ع.**الكريم طبيش**، أ/ **طارق بوحالة**، أ/ **معاشو بووشمة**، د/ **نسيمة كريبع**.

ونوجه من هذا المقام شكرا خاصا للدكتور: **وليد بوعديلة** من جامعة سكيكدة.

كما نتوجه بالشكر إلى الأستاذ / **الأزهر عطية** من سكيكدة وإلى كل أساتذة المركز الجامعي ميلة ، ومستخدمي المكتبة الجامعية وإداريي المركز

تحية امتنان وشكر وتقدير ووفاء.

اهـــــداء

إلى من جاد بها الرحمان لتنير لي درب الأمان وتسقيني من رحيق الجنان بأروع نفحات الايمان من خلق وحياء وإحسان أم البنات و البنين حبيبتي وقرة عيني ماما الغالية يمينة إلى من أفنى روحه لينعش روحي ونسي جروحه ليداوي جروحي ليحقق لي كل طموحي فأهديته تفوقي و نجاحي أبي الغالي سعد إلى روح جدي الطاهرة إلى جدتي الغالية خديجة.

إلى من رسمت دربي فارتسم الأمان إلى من خفق لها قلبي إلى هبة الرحمان أختي أم فادي ومهدي و ناجي دمتي لنا ولزوجك الغالي عمار.

إلى عقد مرصع في جيد حسناء نجاة طلعه وحورية بريقه وفريدة صفاءه وصبرينة جماله ورانيا مسكه. إلى الخافقين في بيتنا إلى الكاملين في سرهما إلى الصالحين أخوايا العزيزان كمال ومحمد الصالح، إلى أزواج أخواتي رابح جمال سامي نزيه وإلى أزهار عمرهم أحبائي أسيل رنيه نهال إلين نورسين حيدر،إلى كل الاقارب.

إلى رفيقتي في هذا البحث سلوى، إلى إختي الغالية التي لم تنجبها أمي إيمان يخلف.

إلى صديقاتي إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالعطاء،نورة نعيمة أسماء أميرة ريمة مفيدة منيرة

إيمان لطيفة كنزة مسعودة حسيبة سماح إلى الذي أحبه قلبي ولم

يذكره لساني إلى أساتذتي الأفاضل في جميع مستوياي

الدراسي وبالأخص الأستاذة المشرفة سليمة ظيل.

إلى هؤلاء...أهدي عملي هذا عربون محبة وتقدير.

حبيبة

اهـــــــداء

توقف الوقت و انتهى الحلم ...لست ادري ان هي بداية شروق جديد او انه منعطف

آخر صعب و فريد...فريد بنتائجه...أجل بالفعل فان دراستنا بالجامعة كانت دربا منعطفاته صعبة لكننا الان قد حققنا الحلم و عبرنا الحياة و أنهينا بخير و على خير دراستنا...

فالحمد لله و الشكر له أولا و ثانيا و أبدا لأنه أمرني بالصبر و القوة و الارادة لبلوغ أهدافي وتحقيق طموحاتي أهدي ثمرة جهدي هذا الى أغلى الأحباب:

الى من بلغ.. الرسالة.. و أدى الامانة.. الى نبي الرحمة و نور العالمين...سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

الى الشمس التي تشرق في حياتي لتملأها بهجة وسرورا و تغمرها دفئا و نورا فتنسيني هموم الايام أمي الحبيبة

الى القمر الذي ينير دربي في ظلمات الحياة و يزرع في نفسي شعاع الأمل و التحدي فيلهمني مواجهة الصعاب أبي العزيز

والى كواكب تملأ فراغ هذا الوجود و أقطع لصحبتها أشواط الحياة حلوها ومرها فتبث في نفسي السعادة والطمأنينة اخوتي:

معاذ وزوجته أحلام صابر سندي وحصني المنيع في هذه الحياة وزوجته حنان،وحيد،خليل،نعيم وأختي الوحيدة نورة معلمتي و مرشدتي ولا أنسى كتاكيت العائلة: أنفال، أنيس، يحيى، أيهم.

دون أن أنسى النجوم التي تلألأ في سماء روحي و أنقش أسماءها على صفحات قلبي صديقاتي:

سمية، أميرة، كريمة، لبنى، نجاة، عليمة، أبتسام، عائشة، منيرة، حياة، بسمة.

الى زميلتي في المذكرة حبيبة أعاننا الله ووفقنا.

الى كل من ذكرهم عقلي و رافقتهم روحي فنسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي.

سلوى

مقدمة

مقدمـــة:

تطرح الرواية الجزائرية المعاصرة مجموعة من الإشكالات التي تتناول أهم المحطات التاريخية الكبرى التي مر بها الفرد أثناء حياته، وتعد قضية الهوية من أبرز ما يثار داخل الخطاب الإبداعي في الفترات المتأخرة، باعتبار أن الهوية ليست معطى جاهزا وإنما هي شكل زئبقي لا يمكن الإمساك به، فهي تتأثر بجميع السياقات التي تحيط بها؛ الهوية تتشكل باستمرار وجود بعض العناصر التي تحقق لها الملامح الضرورية وتتأثر بالسياق الزمني الذي تعيش فيه، ويعدُّ التاريخ من أسسها لما يملك من حضور قوي في حياة الأمم، من هذا المنظور تطرح رواية " الرميم" للمبدع الجزائري "الأزهر عطية" قضية دور التاريخ في إرساء معالم الهوية والتغيرات التي تؤثر في شكل مسارها، والسر الكامن وراء تعلق أبطال وشخصيات الرواية بسحرية التاريخ، وكذا تعالج إشكالية الجدل الدائر حول مدى تحكم الظروف الماضية في حاضر ومستقبل الفرد الجزائري، من هذا المنطلق أتى هذا البحث الموسوم بـ" الهوية والتاريخ" في رواية "الرميم" لـ "الأزهر عطية"؛ إذ تتمثل أهمية هذا البحث في الكشف عن دور التاريخ في تحديد وبلورة الهوية وهذا بالوقوف على أبرز المنظورات والمواقف والرؤى التي أراد الكاتب بعثها وكذا محاولة الكشف عن تمظهرات الهوية في سياقات تاريخية محددة.

هذا البحث سيجيب عن إشكال مركزي مفاده: ما هي أبرز تمظهرات الهوية والتاريخ في رواية "الرميم" ؟ لتتفرع عنه مجموعة من التساؤلات من مثل: ما الهوية؟ ما التاريخ؟ ما العلاقة بين الهوية والتاريخ؟ كيف تخضع الهوية لمرجعية التاريخ؟

أما عن أسباب اختيار البحث فيمكن إرجاعها إلى أسباب ذاتية متمثلة في ميولاتنا الدراسية إلى جنس الرواية باعتبارها أضحت تمثل خطاب العصر، وأسباب موضوعية متمثلة في جدة الرواية، فحسب اطلاعنا المتواضع تعتبر هذه الدراسة أول دراسة أكاديمية حول الرواية إذ تسعى هذه الدراسة للبحث عن تبلور مفهوم الهوية داخل الخطاب الروائي، ومعرفة الصيغ

والآليات التي تبنتها الرواية، كما يحاول الوقوف على خلفيات وطرائق تمظهر التاريخ، وكذا محاولة تقديم رؤية نقدية حول الرواية تكشف تعالق الهوية والتاريخ داخل خطاب جمالي.

لا يمكن الجزم أن هذا البحث قد انطلق من العدم وإنما استند إلى مجموعة من الدراسات السابقة أبرزها:

- الرؤية التاريخية في روايات الطاهر وطار (أطروحة دكتوراه)، التي تناولت دور التاريخ في شحن الهوية.
- الهوية والغيرية في رواية الأمير لواسيني الأعرج (رسالة ماجستير)، التي طرحت دور التاريخ في تشكيل أنساق الغيرية.
- الرواية والتاريخ – دراسة في العلاقة النصية في رواية العلامة لبن سالم حميش (رسالة ماجستير)، التي ربطت بين التاريخ والسرد والهوية.

يهدف هذا البحث إلى تقديم مقاربة تفسر ارتباط الهوية بالتاريخ من خلال البحث عن تمركز الهوية حول بؤرة تاريخية هي الثورة التحريرية الجزائرية، والوقوف على سبب ارتباط الهوية بالتاريخ، وكذا إثراء حقل الدراسات الجامعية بدراسة جديدة والتأكيد على أن الرواية الجزائرية المعاصرة ترتبط بالتاريخ ارتباطا لا يمكن عزله أو تجاهله.

أما عن المنهج المطبق في هذا البحث فهو المنهج السوسيو نصي باعتبار أن هذا المنهج يقف على مدى علاقة الظواهر الأدبية بمحيطها الخارجي دون إهمال الأبعاد الفكرية والجمالية للنص الروائي.

انبنى هذا البحث وفق التقسيم التالي:

مقدمة البحث:

الفصل الأول حمل عنوان: **الهوية والتاريخ– مفاهيم نظرية**– تناول المفاهيم المتعلقة لكل من مفهوم الهوية، مفهوم التاريخ، الرواية وتمثيلات الهوية ثم انتقل إلى شرح علاقة الهوية بالتاريخ، مبينا دور التاريخ في إثراء الهوية.

أما **الفصل الثاني** فقد حمل عنوان: **تمظهرات الهوية والتاريخ في رواية " الرميم" "للأزهر عطية"**، عالجنا فيه: ملخص للرواية كان بمثابة الإطار العام لأهم أحداثها، تمهيد فصلي شرحنا فيه توجه البحث، ثم جاء عنصر الهوية ورهانات الواقع تم الكشف فيه عن التحديات التي تواجه الهوية من قبل الظروف الواقعية المرتبطة بها، بعدها وقفنا عند تجسد الماضي بالحاضر للكشف عن وفاء الهوية لماضيها وعدم قبولها العيش من دون سطوة الذكريات الماضية، ثم عنصر الهوية ومرجعية التاريخ من خلال أن التاريخ يعتبر مرجعا مهما في بناء هويات أبطال الرواية، وذلك بتقديس زمن الثورة وجعله محطة مهمة في حياة الأفراد من خلال مشاهدي ذلك الزمن.

ثم عنصر الهوية وثنائية الأنا والآخر؛ إذ طرحت هذه الثنائية الجدلية وفق صراع بين المستدمِر والمستدمَر

و**خاتمة** للبحث لحصنا فيها أهم الأفكار الواردة في البحث وأخيرا قائمة **المصادر وفهرس للموضوعات** ثم **ملخص باللغة العربية واللغة الفرنسية.**

و قد استفدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع أبرزها:

- رواية الرميم للأزهر عطية.
- كتاب: التاريخ الذاكرة والنسيان لبول ريكور.
- كتاب: الرواية والتاريخ لنضال الشمالي.
- كتاب: الرواية والتاريخ لمحمد القاضي.
- أعمال ملتقى الباحة الأدبي الخامس الموسوم "الرواية العربية الذاكرة والتاريخ".
- كتاب الهوية لأليكس فيكشيللي.
- كتاب مرايا الهوية لجان فرانسوا ماركيه.

وغيرها من المراجع التي سترد في نهاية البحث.

لا يخلو أي عمل أو بحث علمي من مشاقٍ وصعاب، هذه الأخيرة وبقدر ما تحدثه من خوف وقلق فإنها تدفع الباحث إلى بدل جهد إضافي، وتشجعه لخوض غمار التجربة البحثية

وأبرز صعوبة واجهتنا هي توفر المادة العلمية وتشعبها مما شكل عائقا كبيرا في تحديد المصطلحات بدقة مطلوبة ومنهجية متوازنة، إلا أن هذه الصعاب زالت بفضل العناية الكبيرة والصبر الجميل والمرونة التي أحاطتنا بها الأستاذة المشرفة " **سليمة خليل**"، إذ لا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نتقدم لها بأسمى عبارات الشكر والتقدير، راجين من الله أن يجازيها أحسن الجزاء.

وفي الأخير نود أن نقول أن هذا البحث من البشر ومحاولة البشر تخطئ وتصيب، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وفضله وإن أخطأنا فمن أنفسنا وحسبنا أننا اجتهدنا والمجتهد المخطئ له أجره في هذا الاجتهاد.

الفصل الأول

ـ الهوية و التاريخ ـ مفاهيم نظرية ـ

1- ماهية الهوية

1-1 مفهوم الهوية

1-2 مكونات الهوية

2- مفهوم التاريخ

3- الرواية و تمثيل الهوية

4- علاقة الهوية بالتاريخ

5- ملخص الفصل

1- ماهية الهوية:

1-1- مفهوم الهوية:

تواجه الدارس مجموعة من التساؤلات إذا أراد الخوض في مفهوم الهوية، وذلك لتعدد الآراء والأفكار في معالجتها وتقاطعها مع بعض المصطلحات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي نفسه.

يتحدد «مفهوم الهوية بناءا على الدلالة اللغوية والفلسفية والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح، ويقابل مصطلح الهوية العربي كلمة identité/ identity في الفرنسية والإنجليزية، وهو من أصل لاتيني ويعني الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو وما هو عليه؛ أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو متعين»[1] فهي ماهية الشخص وما يدل عليه.

والهوية في اللغة العربية «مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة "بأل" "ي" المشددة وعلامة التأنيث أي "ي" وفي الفرنسية والإنجليزية واللاتينية يعني لفظ "idem" أو "id" ضمير الإشارة للغائب؛ بمعنى هو ذاته، ويستعمل هذا الضمير للدلالة أحيانا على الاختصار، وعدم التكرار عند الإشارة إلى شيء محدد»[2].

فهي مجموعة من المميزات التي تدخل في تكوين الشخصية.

كما وردت الهوية في قاموس مصطلحات الأدب بمعنى «سمات مميزة للكاتب وتنطبع بطابعه، وتحدد مسار عمله ومشخِّصات إنتاجه، والأديب يُعرف بهويته الأدبية، والأدب

---

[1]- أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 2013، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص 24.

يعرف بسمات الأدباء وهوياتهم»[1]؛ فكل كاتب تتحكم في إنتاج نصوصه الإبداعية توجهاته ومكونات هويته أو أفكاره، حتى يصبح معروفا بها، ولا يمكن فصلها عنه.

ويذهب "بول ريكور" (Paul Ricœur) إلى أن «الهوية وجود وماهية غير أنها لا تمثل جوهرا ثابتا ومتعاليا على الزمان والمكان بل هي حالة متحركة ومتداخلة، إنها صيرورة بالمعنى المجازي والتاريخي الذي يتيح تضمينها إشكاليات وأزمات هي لازمة لها، والهوية من حيث هي كذلك هي كل من العلاقات والصلات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية... ترتبط باللغة والتاريخ والمصير الواحد والمصالح المشتركة، والمحددة بأبعادها وعلاقاتها التي تمثل في علاقة الأنا/الذات بالأنا، وعلاقة الأنا بالواقع في سيرورته، وعلاقة الأنا بالآخر غير أن هذه الأبعاد ليست انشطارات منعزلة بل تحكمها علاقة جدلية مترابطة ومتحركة»[2].

فالهوية ليست شيئا ثابتا، بل معطى متحرك أو زئبقي تتأثر بمجريات الأحداث، ولا يمكن فصلها عن المجتمع أو العلاقات الاقتصادية والسياسية، وتبقى خاضعة للجماعة التي تنتمي إليها.

الهوية ليست معطى ثابتا، بل هي مجموعة من التراكمات المعرفية التي تحدد وتميز شخصية عن غيرها من حيث هي«مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الخاصية المتميزة لشعب من الشعوب وهناك كثير من المفاهيم التي تساعد على الإحاطة بموضوع الهوية كالذات والشخصية والفرد، وروح الجماعة والضمير الجمعي وغيرها»[3].

فإذا كانت الهوية فردية، أي مجموع خصائص ومميزات تخص الفرد، فإنها تنصهر في هوية كبرى هي الهوية الجماعية التي تنصهر فيها عدة مكونات «فلا شك أن كل فرد من أفراد المجتمع يملك هوية اجتماعية تعرفه بانتمائه إلى مجموعة اجتماعية محدّدة على

---

(1) – حاتم الورفلي: بول ريكور، الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، دط، 2009، ص 37.

(2) – محمد محمد داود: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، دط، دت ص 38.

(3) ـ عبد الرحمان بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015 ص 165.

أساس الانتساب لتلك الهوية، يصنف الأفراد والجماعات أنفسهم، يصنفون الآخرون وعملية التصنيف عملية ذهنية محضة لأن التصنيف الذي يقومون له إنما هو تقسيم وتصنيف وتنظيم للمحيط الاجتماعي»[1].

ويقول "بول ريكور" (Paul Ricœur) في ذلك: «بأنه يمكن تعريف الهوية، بأنها ما به يمكن للفرد أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة»[2].

فهي مكونات هويته والتي من خلالها يستطيع الفرد تحديد أصله ومنشئه وبها يكتسب خصائص خاصة به تكون بمثابة علامات فارقة ومائزة تختلف بها عن غيره.

بعد بسط مجموعة من الآراء في مفهوم الهوية يمكن أن نجد بعض التعاريف الأخرى التي ربطت هذا المفهوم بمصطلحات أخرى، فهي من المنظور الفلسفي «تعبر عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصية المطابقة؛ أي مطابقة الشيء نفسه ولمثيله، فهوية أي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشترك...لتميزه عن غيره من الحضارات»[3].

فالجانب الفكري له ميزة أساسية في بلورة مفهوم الهوية وتقديمها وفق نمط محدد، ومن هنا يمكن القول أن الأفكار والتصورات عن الوجود هي جوهر الهوية.

بما أن الهوية تعكس الحالة الفكرية المرتبطة بثقافة الإنسان وميزاته وكل الأمور الأخرى، فهي من منظور ثقافي «مشكلة لشعب ما تكون واحدة ونقية تماما، إلا أنها في جانب منها مغلق سلفي ومريض عصاب ولا يمكن لها أن تكون خالية من كل الثوابت الحاكمة إلا في جانب آخر مقابل وهو الجانب المستلب الذي يعجز عن رؤية أي طريق

---

[1]ـعبد الرحمان بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي ، ص 166.

[2]ـ حاتم الورفلي: بول ريكور، الهوية والسرد، ص 43.

[3]ـ عبير بسيوني: أزمنة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1 2012، ص85.

سوى طريق الآخر، على نحو يحّوله إلى مجرد مستهلك لعالم كائن دون أن يفكر في المحتمل وما يمكن أن يكون»[1]؛ فهي تتحدد وفق المنظور الثقافي إنطلاقا من وجود علاقة حوارية بين الأنا والآخر، إذ تحاول الأنا جاهدة تقليد الآخر في نمط حياته وسلوكاته.

تأخذ الهوية بعدها القومي نتيجة لتوفر مجموعة من الشروط التي توحّد مجموعة من الشعوب «فهي التي تحدد شخصية الأمم والشعوب والثقافات المختلفة جوهر أو تركيب نفسي، بصرف النظر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والفكرية التي تحيط به، فيعالج مستقبلها ونمط حياتها»[2]؛ أي أن المحيط الثقافي والفكري وحتى العقائدي يوحد الهوية القومية لعدة بلدان، بغض النظر عن الظروف الاقتصادية والتاريخية التي تعيشها ومثلا أن الشعوب الإسلامية تعيش في أوضاع مختلفة ومع ذلك فلها هوية واحدة هي الانتماء الديني إلى الإسلام وما احتواه من مقومات مشتركة أخرى.

إلى جانب هذا الأمر يمكن القول أن: «الفرد يستمد إحساسه بالهوية والانتماء من الشعور القومي ذاته، فيحس بأنه ليس مجرد نكرة، وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصور»[3]؛ إذ يعيش الفرد في ظل تفاعله مع مجموعة من الظروف التي تخلق لديه طرائق وأنماط تفكير وتبين له كيفية الاندماج مع الآخرين.

يتقاطع مفهوم الهوية مع عديد المصطلحات منها: الماهية، الجوهر، الشخصية والغيرية.

---

[1]– علاء عبد الهادي: شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مج36، ع1، الكويت، سبتمبر 2007، ص 282.

[2]– بشير خلف: السؤال للهوية وصدمة العولمة، مجلة الباحث، ع14، بيروت، لبنان، أكتوبر1980، ص 115.

[3] – المرجع نفسه، ص 116.

1) الماهية: أن يكون الشيء "ما هو" بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل "هو" والمعنى واحد قد يجعل البعض الماهية أكثر عمقا من الهوية، بينما الهوية أن يكون الشيء هو وليس غيره وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق.

2) الجوهر: استعارة من علم المعادن من الجوهر النفيس، وهو في الوقت نفسه نواة الشيء أي الفكرة المركزية التي يقوم عليها.

وهذه المفاهيم الثلاثة (الهوية، الماهية، الجوهر) تنتسب إلى جذر معنوي واحد لا إلى جذر لغوي، فمفهوم الهوية والماهية مشتقان لغويان من نفس الجذر "هو"[1].

فهذان المصطلحان يتداخلان مع الهوية باعتبار أنهما ينتسبان إلى الجذر اللغوي نفسه مع مفهوم الهوية باعتبار أنها الشيء الثابت الذي لا يتغير.

3) **الشخصية:** «هي مجموع الصفات التي تميز الشخص عن غيره، وقد تأتي بمعنى شخصية عظيمة كقولنا: فلان صاحب شخصية، تحقيق الشخصية، التحقق من هوية شخص ما»[2].

فالصفات المميزة لكل شخص هي صفات خاصة بكل فرد وليس بالجماعة، وهي صفات ظاهرية مادية تتعلق بشخص معين دون غيره مثل الطباع والمظهر والسلوك .

«يشير أحمد بن نعمان في قضية التداخل بين الهوية والشخصية، فهو يحدث في الاستعمال المتعلق بالأمة، فعندما يتعلق الأمر بمقومات الوجود كما هو، يكون مصطلح الهوية هو الصالح للاستعمال، وعندما يكون الأمر متعلقا بمميزات هذا الوجود ومحدداته وخصائصه التي يعرف بها، فيكون مصطلح الشخصية هو الأنسب للاستعمال»[3]انطلاقا

---

(1) – ينظر: حسن حنفي: الهوية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر،ط1، 2011، ص 11.

(2) – المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، لبنان، 2000، ص 751.

(3)– أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، دار الأمة، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 20.

من موضع الاستخدام ففي المنظور الجماعي نقول هوية ، وإذا تحدثنا عن فرد نقول شخصية.

4) الذاتية: «هي ذات الشيء نفسه، عينه، فنقول في حد ذاته»[1].

فالمقصود هنا أن الذاتية حقيقة الشخص وصفاته الجوهرية فيه ومن هنا يكون أقرب إلى مفهوم الهوية؛ وذلك لأن الذاتية تعني الهوية والحقيقة ما يكون ذات الكائن ويميزه عن سائر الناس ويعرف به دون غيره.

ويستعمل مصطلح الهوية عند الغرب بمعنى "الاختلاف""différence" وأصبح التقابل بين الهوية والاختلاف identité وdifférence شائعا، وفي الفكر العربي "الاختلاف" أكثر شيوعا من الهوية؛ لأنه لفظ بسيط في حين أن الهوية لفظ مركب من الضمير المنفصل "هو".

كما يستعمله "الفارابي" في كتاب "الحروف" في مقابل اللفظ الغربي Altérite Altérité/ وتعني "الغيرية" وهي على نقيض الهوية، وليس للفظ الأجنبي لفظ عربي قديم مقابل وقد ترجمه المحدثون بلفظ "اغتراب"؛ يستفاد من هذا أن مصطلح الهوية في الإستعمال الغربي يأتي بعدة معان أبرزها: الاختلاف، الاغتراب، الغيرية... إذ إن هذا المصطلح أيضا يفهم من عدة جوانب فلا يمكن الجزم أنه مستقر المعنى أو المفهوم[2] وهذا راجع لتعدد طرائق وغايات استعماله.

1-2- مكونات الهوية:

تم الحديث في العنصر السابق عن مفهوم الهوية، ومدى ارتباطه وتشابكه في الآن نفسه مع جملة من المفاهيم الأخرى، والملاحظ لهذا الأمر يجد أن الهوية تعددت تعاريفها ومجالات بحثها، وفق مجموعة من الرؤى والتوجهات الفكرية، وهذا راجع في أصله إلى صعوبة التعامل مع المصطلح على اعتبار أن «مبدأ الهوية مبدأ سكوني أساسا يشكل لباب

---

[1] – المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 465.

[2] ـ ينظر: حسن حنفي: الهوية، ص 17-18.

الفكر الثقافي خلال العهد الإمبريالي، إن الفكرة الوحيدة التي لم يكد يمسها التغيير إطلاقا وعبر التبادلات التي بدأت بانتظام قبل نصف ألف من الزمن بين الأوروبيين وهي أن ثمة شيئا جوهريا وهو "نحن" وشيئا آخر وهو "هم" وكل منهما مستقر تماما وجلي، ومبين لذاته وشاهد عليها، بشكل حصين ومنيع»[1]؛ فإن كان معناها ثابتا في كونها سمات فرد ما، فإن الغرب قد سعى جاهدا لإقامة فوارق جوهرية في الدول التي احتلها وعلى إثرها أصبحت الهوية تعرف ضمن ثنائية الأنا المحلي والآخر الغربي المختلف.

هذا الإشكال في الاتفاق على تعريف موحد، يقود إلى الإقرار باتساع مجال المصطلح، إذ يمكن القول أنها تتجسد بواسطة «الشكل الميتافيزيقي الذي يحدد هوية الأمم والشعوب ويقدم شخصياتها في إطار تصورات إنسانية أو نماذج مثالية دون الرؤية إليها كمجموعات حية»[2]، مما يقود بالإقرار أنها تتشكل بواسطة مجموعة من المكونات التي سنحاول عرض أبرزها:

*** البيئة الحيوية:**

والمقصود بهذا المصطلح كل «خصائص الوسط والشروط التي تغطي نشاطات الجماعة المعينة مثل الحدود، الموقع، الوضعية الجغرافية، الوضعية الجيولوجية، المناخ النباتات، الحيوانات، الطبوغرافيا، البحار، التربة، اللباس، حالة السكن، التنسيق والتنظيم الداخليان، أساليب الاتصال، التغيرات الملموسة، التحولات الجارية داخل الوسط الحياتي»[3]؛ أي إن هذا المكون يتعلق بالمحيط البيولوجي والطبيعي الذي يعيش داخله الأفراد، فالجماعات تنشأ في سياق حضاري، وتتجسد فيها بعض المكتسبات التي تتكون مع مرور الزمن، لتصبح ميزة تعرف بها الجماعة.

---

(1)-إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، 2004، ص 23.

(2)- بشير خلف: السؤال للهوية وصدمة العولمة، ص 118.

(3)- أليكس فيكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ط1، 1933، ص 23.

هذه الظروف التي تتوفر في البيئة الحيوية تقود بطرق شتى إلى إنتاج «جملة تأثيرات في الوسط: إشباع الحاجات، الحرمان والكبت، الأهداف، عناصر التنظيم الاجتماعي الطقوس والسلوك الخاص، الذهنية، العلاقات النموذجية للجماعة مع وسطها الحيوي»[1] فالمحيط الذي يعيش ضمن إطاره جماعة بشرية، يؤدي إلى إنتاج بعض التصورات أو التصرفات التي تصبح سمة أو ميزة للجماعة، فالمنطقة الجغرافية تفرض عادات معينة للحياة، هذه العادات تتحول مع مرور الوقت إلى مرتكزات ثقافية تكوّن هوية الأفراد.

*** المكون التاريخي:**

يعد التاريخ من أبرز مكونات الهوية ومقوماتها فـ «الهوية شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار وليس أبدا ماهية ثابتة، معنى أن الهوية قابلة للتحول والتطور، وذلك لأن تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد ومليء بالأحداث والتجارب، فإن الهوية الأصلية تتغير باستمرار وتكتسب سمات جديدة، وهذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي، وهو سلسلة عمليات متتابعة كما أنها تتحول مع الزمن فهي ديناميكية، وهي تربط بالأثر الذي تتركه الحضارة عبر التاريخ»[2] وهذا راجع إلى كون الحوادث التاريخية تصبح مع مرور الوقت بمثابة الإرث، مثل الثورة الجزائرية بالنسبة للشعب الجزائري.

ومن جهة فالتاريخ «يشكل منطلقا لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها، ويبرر تاريخ الجماعة وآثاره في صيغ مكتوبة في تاريخها، ويبرر تاريخ الجماعة وآثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة، وأساطيرها وحكاياتها وينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين، كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وآثاره في تنظيم الوسط الحيوي، والبنية الديمغرافية والنشاطات الراهنة، والبنية الاجتماعية، وأخيرا الآراء، الاتجاهات والمعايير السلوكية

---

[1]–أليكس فيكشيللي: الهوية، ص24.

[2] – عادل شهيب: الثقافة، الهوية، إشكالية المفاهيم والعلاقة، الموقع الإلكتروني:
http//www.avanthpose.com، صادر بتاريخ: 03 أكتوبر 2005، تاريخ الدخول: 10فيفري2017.

وموروثات الماضي»[1]، على اعتبار التاريخ هو الشاهد الوحيد، الذي رافق نشوء الجماعات والمراحل الكبرى التي مرت بها، وسجّل دور بعض الأحداث الجزئية التي غيّرت مسار الأمم، وكان لها الدور البارز في ظهور بواعث وأفكار جديدة أسهمت في تشكيل الهوية وهذا ما يقوي ويعزز العلاقة بين التاريخ والهوية ويصهرهما في قالب واحد، فلا يمكن فصلهما عن بعضهما .

*** المكون الذهني:**

هو نمط التفكير والعناصر «المختلفة التي تحدد الاتجاه العام للذهنية والهوية الجمعية، وهو العناصر التي تنظم إلى حد كبير بين مجموعة من النشاطات الأخرى وتمنحها دلائلها ومعناها وذلك في حدود علاقتها بالوسط الذي توجد فيه، إذ تنتظم حياة الجماعة حول نشاطات أساسية وحول اهتمامات مركزية وتصورات مغلقة، كما تنتظم حول أنماط الحياة الخاصة المطلوبة والتي تتوافق مع الأسس المرجعية»[2] فطرق التفكير داخل أي جماعة معينة تسهم في بلورة وصياغة مفهوم للهوية.

وللذهنية دور كبير في صيرورة الهوية، فالهوية «خاصية للنفس لا للبدن، هي حالة نفسية وليست حالة بدنية طبقا للقسمة الأفلاطونية السينوية الشهيرة بين النفس والبدن»[3] والنفس تخضع لأهواء، وتنتج مجموعة من الأفكار والعادات وطرائق الحياة، والتي تتجسد في النهاية على شكل ممارسات، وبالتالي تقود إلى طبع هوية الأفراد بسمات خاصة.

---

[1]- أليكس فيكشيللي: الهوية، ص 23.

[2]–المرجع نفسه، ص 26.

[3]– حسن حنفي: الهوية، ص 12.

2- مفهوم التاريخ:

تثير كلمة تاريخ بعض الجدل حول أصلها فقد اختلف الباحثون حول مدى اقتراب الكلمة من اللغة العربية، حيث يعد مصطلح التاريخ «جديد نسبيا في الثقافة العربية، إذ يذهب البعض إلى اعتباره كلمة فارسية فهي لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية»[1].

وردت كلمة التاريخ في المعجم الوسيط: «أرَّخَ الكتاب: حدد تاريخه والحادث ونحوه: فصل تاريخه وحدد وقته – التاريخ جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية»[2]، فالتاريخ انطلاقا من هذا المفهوم هو كل ما يرتبط بذكر الحقب الماضية لأي ظاهرة مر بها الإنسان.

كما ورد في لسان العرب «التاريخُ، التأريخ، تعريف الوقت والتوريخ مثله، أرَّخ الكتاب ليوم كذا، وقْتَهُ»[3] وهو كل حدث متصل بلحظة زمنية محددة ماضية.

لم ينسحب المفهوم اللغوي لكلمة تاريخ على المعنى الاصطلاحي؛ إذ إن المعنى اللغوي أشار إلى الأحداث الماضية التي مرّ عليها وقت، كالحديث عن فترة مرتبطة بزمن محدد ومنقطعة عن غيرها من الأزمان.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت مفاهيم التاريخ وذلك حسب مختلف التوجهات الفكرية والمعرفية، فـ"فيصل درّاج" يورد أن كلمة التاريخ «يونانية الأصل، [فهي تدل] على استقصاء الإنسان واقعة إنسانية منقضية سعيا إلى التعرف على أسبابها وآثارها وهذا المعنى قصده "هيرودوت" Huroudout (ق 5 قبل الميلاد) في تاريخه المنشور حيث استقصى أعمال البشر وأعرض عن أعمال الآلهة»[4] فالتاريخ ارتبط عند "هيرودوت" بدراسة

---

(1) ـجورج شايلد: التاريخ، تر: عدلي برهوم عبد المالك، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1958، ص 115.

(2) – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، ص 13، مادة أَرَخَ.

(3) – محمد بن منظور:لسان العرب، ج2، تر: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2005، ص 58، مادة أَرَخَ.

(4) – فيصل دراج: الرواية العربية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 81.

ماضي الإنسان وكل ما يتعلق به من منجزات، لكن المتتبع لصيرورة الكلمة تاريخيا نجدها تعددت وتنوعت ولم ترتبط بجانب واحد «دلت عند "سقراط" "Socrate" على المعرفة، وعند أرسطو Aristote على مجرد ركام من الوثائق مقابل عمل تفسيري بل عد التاريخ أحيانا من العلوم العلمية في مقابل العلوم النظرية، إذا رجعنا إلى تصنيف "بيكون" "Baicon" للعلوم نجده يحصر التاريخ في ثلاثة تصنيفات تأتي بحسب قوانا المدركة هي: التاريخ وهو علم الذاكرة الشعر هو علم المخيلة، الفلسفة وهي علم العقل، هذه العلوم الثلاثة هي عبارة عن مراحل متتالية يجتازها العقل في تكوين العلوم، فالتاريخ هو تجميع العلوم والشعر هو تنظيم لها والفلسفة هي العملية العقلية التركيبية»[1] فالتاريخ لم يأخذ معنى محدد، بل نقاط التشارك بين هذه المفاهيم تجمع على كونه يفسر ويدرس حقبة ماضية ويختلف عن الشعر والفلسفة لأنه يقوم على ما هو مادي؛ إذ يتضاءل فيه الخيال ويكثر فيه الحدث الواقعي الذي يشير إلى ما حدث فعلا.

غير أن العرب كانوا يصطلحون عليه بعلم الخبر، ف"ابن خلدون" يعرّفه «أنه فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يطلعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك وسياساتهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت، يقضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط»[2]،فالتاريخ هو كل ما يتصل بالماضي الإنساني وحياته وأخباره ومنجزاته والآثار المادية التي خلّفها والتي اعتنى المؤرخون بدراستها والتي تدل على وجود حياة في فترة ما.

في حين يقول "عبد الله العروي" أنّ مفهوم التاريخ «بداهة أن أخبار الماضي تفرغ إمّا في شكل خرافة وإمّا في شكل قول مثبت بوثيقة، الواقع أن قسما ضئيلا جدا من معلوماتنا حول الماضي خاضع إلى التوثيق أما القسم الأكبر فهو دائما وباستمرار مفرغ في تصور

---

[1] – جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 50.

[2] – عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، الدار العالمية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ص03.

عام وعامي يمثل جانبا من ثقافتنا الوطنية، لا ننسى أن دروس التاريخ من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة هي رواية شفوية»[1] فالتاريخ مرتبط بالماضي ويحتمل عدة تمظهرات، فإما أن يكون موثقا؛ أي له ما يدل عليه، أو عبارة من مرويات شفوية يحضر فيها الخيال والجانب الخرافي أو الأسطوري.

وإن ارتبط التاريخ بالأحداث الماضية أو المنقضية، فهل هذا يعني أنه يفسر الأحداث المستقبلية، أو لا يكون له سطوة أو حضور في المستقبل؟

هذا الموقف انتبه له الناقد "شكري عزيز ماضي"، بقوله هو: «مجموعة الأحداث الإنسانية التي مضت وانتهت لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة و(الفعل الإبداعي) منه الأدب خاصة»[2]، فالتاريخ حسبه لا يدخل في الماضي فقط بل يتجاوزه إلى المستقبل، ويتداخل مع بعض المعارف التي تنتجها الإنسانية في مراحل حياتها، ويتفاعل مع الأدب والثقافة بصفة خاصة.

في حين يرى "بول ريكور" (Paul Ricœur) أنّ التاريخ يتميز بصفة الواقعية فهو «من الناحية المفهومية بما يحدثه ويتأثر به الإنسان وباعتبار الكائن الحي هو موضوع التاريخ الأساسي الذي عادة ما يعرّف بأنه المعرفة بأفعال الذين عاشوا في الماضي، ولأن الماضي هو قبلة المؤرخ، فإن التواصل معه، ومحاولة فهمه يتم عبر الشعور باختلافه عن الحاضر، ويترتب عن هذا ثلاث فرضيات إستيمولوجية:

- الحدث التاريخي لا يتكرر وهو ما يجعله مناقضا لكونية القانون.
- لا يمكن التكهن به.

---

[1] – عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص23.

[2] – شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 145.

– غيرية الماضي تفترض أن كل أنموذج يؤتى به لوصف الماضي هو مبدئيا مغايرا له»[1] فالتاريخ متصل بحدث واقعي، يدور حول الإنسان ويترك أثرا عليه، ويحدث فعل التّواصل من خلال استحضار النماذج الماضية وعلاقتها بالحاضر.

يتداخل الخطاب التاريخي مع بعض المعارف الإنسانية، مما يجعله يقترب في كثير من الأحيان منها وبخاصة مجال السرد بوصف «التاريخ تعاقب أحداث ووقائع ماضية في شكل أقرب إلى الحوليات وهو المادة المرجعية للرواية، ولعلم التاريخ على السواء، والتاريخ بوصفه خطابا، فهنا يحاول المؤرخ البحث عن منطق معين يحكم الأحداث ويعمل على إضفاء تناسق ومعقولية عليها، مما يفترض فلسفة معينة لحركة التاريخ وتأويلا خاصا بالمؤرخ حتى وإن تحرى الموضوعية والنقد والتمحيص، ولذلك فإن الخطاب الروائي يمنح الكاتب الحرية في تحويل الحقائق والعوامل التاريخية»[2].

فمجال اشتغال الروائي والمؤرخ يقتربان، غير أن المؤرخ يعمل في أحيان كثيرة تحت سلطة الحقيقة ولا يغيرها إلا في مواقف محددة، عكس الروائي الذي تكون له الحرية الكاملة و«يعد استدعاء التاريخ من الخيارات التي مارستها الرواية، وراهنت عليها منذ بداية تأصيلها في المشهد الثقافي العربي، وذلك في إطار ما يسمى بانفتاح مساحة الرواية على الأزمنة والنصوص والأساليب واللغات، وعلى قدرتها على احتواء الذاكرة والماضي ثم جرأتها على الارتماء في المستقبل»[3] إذ عملت الرواية العربية على إثراء التاريخ من خلال استحضاره وتقديمه للقارئ في قالب جمالي حتى أنها عملت على بعث ما يسمى بالتاريخ المسكوت عنه، الذي أغفل من طرف الرسميين؛ أي كُتاب التاريخ، وإعادة اكتشاف الحقائق لتفسير الحاضر بالعودة إلى معطيات الماضي.

---

(1) – جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، ص 52.

(2) – أمنة بلعلى: الرواية الجزائرية بين تخييل التاريخ وتأويله، أعمال ملتقى الباحة الأدبي الخاصة: الرواية العربية، الذاكرة والتاريخ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 260.

(3) – المرجع نفسه، ص 333.

يتميز التاريخ بقدرته على تفسير الظواهر، وتبيان العلاقة التي تنتج عن ذلك «فالتاريخ خطاب نفعي يسعى إلى الكشف عن القوانين المتحكمة في تتابع الوقائع في حين أن الأدب والرواية على وجه الخصوص، خطاب جمالي تقدّم فيه الوظيفة الإنشائية على الوظيفة المرجعية»[1] فالتاريخ يهدف للوصول إلى الحقيقة، أما الرواية لا تسعى لذلك بل غايتها التأثير على المتلقي.

ما يقدّمه التاريخ من حقائق موجود ومتداول بالفعل وذلك لطابعه العلمي فـ«التاريخ يقص علينا أحداثا تملك براهين موضوعية على حصولها بصفة ما في الواقع، في حين أن أحداث الرواية وتشعباتها لا تحتاج في وجودها إلا لعرض نفسها من حيث هي إمكانية إنسانية قابلة للحصول»[2]، في حين إن قدمت الرواية تاريخا، فهو يبقى خاضعا لسلطة المتخيل وذلك راجع إلى أن الرّواية لا تلتزم بتقديم الحقائق إنما تسعى إلى تحقيق المتعة الجمالية، وحتى إن قدمت حقائق مفترضة تخيليا.

لكن هل يمكن أن نسلم بأن الخطاب التاريخي هو نقل حرفي لجملة ما حدث فعلا؟ وذلك راجع لكون التاريخ «يتقاطع فيه مفهومان، إذ هو يعني من جهة جملة الأحداث والوقائع التي جرت في أزمنة ماضية، ويعني من جهة أخرى ذلك الخطاب الذي يصوغه شخص معين في إحداثيات زمانية ومكانية محددة، ليصف به ما وقع من أحداث كبرى في الأزمنة الخوالي»[3] إذ يبني التاريخ على ما وقع فعلا، أو يبحث في اتجاه الماضي، لكنه يبقى خاضعا لسلطة المؤرخ الذي قد يعدل في بعض المفاهيم والتصورات.

يجنح الخطاب التاريخي إلى فعل السرد فهما يتقاطعان «في أكثر من علاقة، وهذا التقاطع يجهز على الثنائية القائلة باختلافهما الكلي، فقوة التاريخ وقوة السرد تجدان المعنى

---

(1) – محمد القاضي: الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس ط1، 2006، ص 23-24.

(2) – المرجع نفسه، ص 11.

(3) – المرجع نفسه، ص 86.

المشترك لهما في إعادة تصوير الزمان؛ أي الإحالة المتقاطعة للتاريخ والسرد فكثيرا ما يتبادلان الأدوار والوظائف؛ لأن القصدية التاريخية وحدها تصير ذات تأثير تمارسه من خلال إدماجها في موضوعها المقصود مصادر الصياغة القصصية النابعة من الشكل السردي للخيال»[1]؛ أي قدرة كل منهما على تقديم الحدث الزمني في أفكار وقوالب جديدة فما يؤديه السرد يحل محل التاريخ في كثير من المواضيع، فالأمم مرويات وسرود، حسب "إدوارد سعيد" في أنماط حياتها فالسرد له القدرة على حفظ جوانب تاريخية.

3- الرواية وتمثيل الهوية:

تعبِّر الرواية عن روح العصر، تسرد حياة الإنسان وتجسد أنماط أسلوبه وطرائق تفكيره، وخصوصية ثقافته، فتمثل بهذا جميع المظاهر والأشياء المتعلقة به وذلك باعتبار التمثيل يعتمد على اللغة «فبها يلجأ المبدع إلى تمثيل المشاعر والأحاسيس والرؤى التي تعتمل في كيانه، فيحققها تمثيلا من خلال صور ينسجها مستفيدا في ذلك مما توفره المخيلة باعتبارها خزانا رمزيا هائلا»[2]

تمثل الرواية الهوية من خلال قدرة اللغة على رصد حياة الإنسان، إذ تتميز الرواية بقدرتها الفائقة على التمثيل والتصوير لمختلف مكونات الوجود الإنساني فـ «هي أكثر نظم التمثيل اللغوية قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية والثقافية، وإدراجها في السياقات النصية ومن حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخلية توهم المتلقي بأنها نظرة العوالم الحقيقية ولكنها تقوم دائما بتمزيقها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية دون أن تتخلى في الوقت نفسه عن وظيفتها التمثيلية»[3]؛ أي أن الرواية

---

[1] – عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي – السرد، الإمبراطورية، التجربة الاستعمارية–، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 07.

[2]– إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 54.

[3] – عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، تفكيك خطاب الاستعمار وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 08.

تخلق بواسطة التمثيل أشياء جديدة، وغير مألوفة تبعد عن الواقع، أو تعبر عن رؤية أو موقف فكري وتعتمد على الخيال.

يستطيع القارئ الوقوف على أنماط تمظهرات الهوية داخل الرواية بواسطة ما يؤديه السرد من وظائف «بوصفه وسيلة تشكيل المادة الحكائية وله وظيفة تمثيلية شديدة الأهمية في الرواية فهو يقوم بتركيب المادة التخيلية وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية الوقائعية، بما يجعلها تندرج في علاقة مزدوجة مع مرجعيتها فهي متصلة بتلك المرجعيات لأنها استثمرت كثيرا من مكوناتها وبخاصة الأحداث والشخصيات والخلفيات الزمنية والفضاءات لكنها في الوقت نفسه منفصلة عنها لأن المادة الحكائية ذات طبيعة خطابية فرضتها أنظمة التخييل السردي، فالسرد في وظيفته التمثيلية يركب ويعيد تركيب ويخلق ويعيد تخليق سلسلة متداخلة من عناصر البناء الفني»[1]، فالسرد مرتبط بماهية الإنسان باعتباره كائنا ناطقا، إذ سجل جميع الفترات التي مر بها، والأمم عبارة عن مجموعة من القصص المسرودة في فترات سابقة ، بها تحفظ وجودها وكيانها الثقافي وتخلد مآثرها وتاريخها معلنة عن ملامح هويتها.

كما أن الهوية من منظور الثقافة عبارة عن «تطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر»[2] ؛ أي أن الثقافة هي التي تجسد هوية الإنسان باعتبارها مجموعة من الممارسات الدالة على ارتباطه بثقافة معينة.

---

(1) – عبد الله إبراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، مجلة علامات، ع 23، أكتوبر 2002، ص 03.

(2)– طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 700.

وتمثل الهوية ثقافيا عن طريق «إعادة إنتاج المرجعيات، على وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي، ومقتضيات الخصائص النصية وليس امتثالا لحقيقة المرجع، فالمرجع مجموعة أنساق ثقافية محملة بالمعاني الاجتماعية والنفسية والفكرية في عصر ما»[1].

وتكتسب الهوية بواسطة التمثيل أهمية كبرى، إذ تنسج في إطار سردي جمالي، كما تنفتح على باقي العناصر المكونة للخطاب الثقافي المتعلق بحياة الإنسان وكل المظاهر التي تدل على نشاطه مثل المعتقدات والعادات والممارسات وغيرها.

كما تتيح الرواية للهوية مجالا أوسع للظهور عن طريق طرحها لثنائية الأنا والآخر فكل خطاب أدبي يجسد هذه الثنائية وفق «تمثيل للذات أو للآخر، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة عن نفسها وعن الآخر وهو الذي يصنع لهذه الجماعة معادلا لما يسميه "بول ريكور" "الهوية الجماعية"»[2].

هذا التمثيل يجسد دور الصراع في تشكيل الهوية، لأن كل من الأنا والآخر يحاول قدر الإمكان أن يسيطر على مساحة أوسع من التمثيل وإظهار نفسه على حساب الطرف الثاني.

الأنا والهوية تحمل بعدا اجتماعيا وهذا المجتمع طبعا هو انعكاس لثقافة ما، مما يجعله يحاول فرض قيم ما ورفض قيم أخرى فـ «الثورة على بنية الواقع الاجتماعي هي من منظور الحداثة ثورة الوعي بهذا الواقع »[3]، فلولا الوعي لا نستطيع المعارضة أو الرفض.

ولا يتحقق وجود الأنا إلا إذا ارتبط بالآخر الذي هو «الآخر في الهوية، الآخر في الحمولة الأيديولوجية، الآخر في الدين، الآخر في الموقف السياسي، الآخر في الذوق الفني

---

(1) – عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، ص 51.

(2) – هجيرة بوسكين: تمثيلات الأنا والآخر في رواية المرفوض لإبراهيم سعدي، مجلة دراسات أدبية، الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع13، ديسمبر 2012، ص 93.

(3) – يمنى العيد: في القول الشعري،الشعرية المرجعية والحداثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999 ص 384.

الآخر في المدرسة النقدية الأدبية الآخر في المنهج المعرفي، الآخر في الجنس، الآخر في اللون»[1]؛ أي كل من يخالفني في طريقة حياتي وتفكيري.

يتحدد الآخر في الرواية من خلال «تمثيل الذات والآخر، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة عن نفسها وعن الآخر»[2]، على اعتبار النص الروائي مجموعة من التمثيلات المُؤلفة لعالم متخيل أو يحاول محاكاة العالم الحقيقي.

ومنها يمكن أن نخلص إلى الكيفية التي تقوم بها الرواية في تمثيل الهوية ثقافيا وعندما نقول الثقافة؛ فإننا نقصد بذلك كل ما يندرج تحتها من مكونات الهوية، كالبعد الإيديولوجي، نمط التفكير، اللباس والأعراف، التاريخ.

ويمكن تحديد هذا التفاعل بين الهوية والآخر من خلال:

– أن الآخر في معناه الشهير يعني شخصا أو مجموعة أشخاص تختلف عن مجموعة أخرى ولها هوية مختلفة ومتميزة، وهذا التمييز الذي يسعى إلى إعلاء الأنا على الآخر هو ما تجسده الرواية التي تتحدث مثلا عن الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

– الآخر الرمزي، كما عند "جاك لاكان" والذي يحيل على وجود آخر في أنا الشخص ويتخذ هذا الآخر طابع الرمزية، حيث إنّ اللغة هي من يقوم بعرض أفكار الأنا، فكأن الشخص يعيش شعورين منفصلين[3].

فلا يمكن للهوية إلا أن تخضع لصراع الأنا والآخر في الخطاب الروائي، فكل رواية توظف مجموعة من الظواهر التي ترتبط بالفرد في طريق تشكيل هويته والصعاب التي تواجهه وحتى العوائق التي تعترضه.

---

[1] – نجم عبد الله كاظم: الآخر في الشعر العربي الحديث، تمثل وتوظيف وتأثير، المؤسسة العربية للدراسات والتسيير بيروت، لبنان، ط، 2010، ص 21.

[2] – نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط5، 2004، ص 16.

[3]– ينظر: ميجان الريويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 2002، ص 24.

4- علاقة الهوية بالتاريخ:

يقوم التاريخ على فعل السرد؛ إذ يرصد ويصور كل ما يتعلق بماضي الإنسان وأثناء تصويره لهذه الحركة فإنه يقدم كل ما يتعلق بالحياة ويطرح مجموعة من الأسئلة التي تتصل بكينونة الإنسان وهويته وماهيته «فالتاريخ عن طريق تمثيله داخل الرواية أعاد للإنسان كينونته وماهيته التي افتقدها»[1]؛ لأنه كشف عمّا لم يقدمه التاريخ الرسمي الواقعي.

ويؤدي التاريخ دورا هاما في طرح مفهوم مغاير للهوية وذلك بفعل ابتكار المبدعين للتخيل التاريخي الذي يقع في «منطقة التخوم الفاصلة بين التاريخي والخيالي، فينشأ في منطقة حرة مكوناتها بعضها من بعض، وكونت تشكيلا جديدا متنوع العناصر»[2].

هذه الطريقة الجديدة في كتابة التاريخ تنتج هوية سردية مختلفة عن الحقيقة، تطرح فيها قضية الهوية إذ «يقع فيها التبادل والتمازج والتقاطع والتشابك بين التاريخ والخيال بواسطة السرد، فينتج بذلك تشكيل جديد يكون قادرا على التعبير عن حياة الإنسان بأفضل مما يعبر عن التاريخ وحده أو السرد الأدبي بذاته ومفرده»[3]؛ أي بفعل المعارف الجديدة التي يقدمها.

فالهوية تتداخل مع التاريخ لتثير الأوضاع الاجتماعية والسياسة التي تشوبها بعض الاضطرابات، وتبعث صراع الإنسان مع نفسه ومع محيطه.

وتتفاعل الهوية والتاريخ داخل الإبداعات الروائية بفعل القدرة التي يمنحها «المتخيل الروائي في الارتباط بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية بشكل بارزا حيث كان لجوء الروائي إلى التغيير عن هواجسه بكافة الطرق الرمية في لحظات اشتداد القمع والرقابة، ثم جاء التعبير عن هذه الهواجس وقد تحولت إلى محن وكوابيس في لحظات أخرى بدا فيها

---

[1]- عبد الرزاق بن دحمان: الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة، روايات الطاهر وطار أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2004، ص 19.

[2]- عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي، ص 06.

[3]-المرجع نفسه، ص 07.

الانفراج محنة تستبطئ شكلا آخر للضياع الفادح»[1] فالرواية هي أكبر أجناس الأدب قدرة على جمع ثنائية الهوية والتاريخ بواسطة فعل التخيل.

هذا المنظور الجديد في الجمع بين الهوية والتاريخ أضحى أكثر من اختزال لغوي فالرواية تطرح هذه الثنائية في «سياق أوسع للسيطرة والمقاومة وفي إعادة كتابة التواريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذاكرة وفي استنطاقها بسياسات التمثيل في صراع القوة والصور في تفكيك أوهام الإيديولوجية وفي نقد الهويات القائلة والتحليل الدقيق لاستراتيجيات السلطة»[2].

فالرواية توسع دائرة تفاعل الهوية مع المعطيات التاريخية والتاريخ يتحدث عن المغفل والمضمر ومدى تأثير هذا الأمر على هوية الأفراد والمجتمعات.

كما أن الهوية تطرح من منظور تاريخي بفعل قدرة التاريخ على فعل السرد، وارتباط السرد بكينونة الإنسان، فقد اعتبر السرد «الأرضية المشتركة التي يلتقي عليها الكثير من النظريات والتيارات النقدية والفكرية والفلسفية، هذا التعدد في الخلفيات النظرية والمنهجية التي انطلاقا منها يتم التفكير، يكشف الثراء والغنى الثقافي والاجتماعي لممارسة السردية»[3].

فالسرد يركب ويدمج مجموعة من العناصر في قالب معين يحقق للإنسان وجوده وارتباطه ببيئته.

كما تطرح هذه العلاقة بين الهوية والتاريخ انطلاقا من بعض السياقات التاريخية التي تبلور مفهوم الهوية عن طريق المقابلة بين الأنا والآخر من خلال «الصراع الداخلي الذي يتعلق بهوية متصدعة ومأزومة، تعيش أزمة داخلية فيصير الآخر بالنسبة لها هو القريب

---

[1] – شعيب حليفي: تخييل الحقيقة في السرد الروائي، أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، رابطة أهل القلم سطيف، الجزائر، دط، 2013، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] – إدريس الخضراوي: السرد موضوعات للدراسات الثقافية، ص 108.

الذي يشاركها الهوية والعقيدة والإنماء إلى الكون الذي يرتبط بالخوف والهواجس المقلقة»[1] هذا الصراع عادة ما تنتجه بعض الأحداث التاريخية من مثل: الظروف الاستعمارية والحوادث الكبرى التي تربط الأنا (الذات) بالآخر، وفق منطلقات فكرية أو عقائدية أو نفسية.

يخاطب التاريخ الهوية داخل دائرة سردية عن طريق إنتاج مجموعة من النصوص لتعبر عما قاله التاريخ بلغة أخرى، فهي تتعامل معه لتدل على المنسي والمهمش، ويتبنى المبدع وجهة نظر تطرح مواقفه من الهوية بلغة أخرى غير مباشرة[2].

تتعالق الهوية والتاريخ في بعض النصوص التي تجسد الصراع الحضاري بين المركز والهامش، وبخاصة إذا كانت الأنا (الهوية) ينظر إليها بنوع النقص من طرف الآخر فتجسد الرواية ذلك الصراع الثقافي عن طريق تبني مسألة الصراع الحضاري بأبعاده التاريخية باعتبار أن رصد الهوية هو رصد للتجربة الذاتية للإنسان ودور الحوادث التاريخية في تحويل الهوية إلى عملية صراع بين المستعمِر والمستعمَر[3].

يعمل التاريخ على تحقيق وحدة الأفراد وصهر هوياتهم في هوية كبرى فهو «إحدى أهم عناصرها، إذ تذوب في الحروب والصراعات هويات متعددة العناصر وتصبح الهوية الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع وهي السائدة وغالبا ما تحدد هذه الهوية دائما بالتاريخ»[4].

فالتاريخ يلعب دورا هاما في تحديد الانتماء بين الفرد وجماعته والجماعات الأخرى من خلال ما يمارسه التاريخ في تعزيز وتمتين الروابط بين الماضي والحاضر.

---

[1] – بوشعيب الساوري: تمثيلات الهوية والآخر، قراءة في ثلاثة نصوص روائية، أعمال ملتقى الهوية والتخيل في الرواية الجزائرية، ص 48.

[2] – ينظر: محمد الباردي: الرواية والتاريخ في كتاب الأمير، أعمال ملتقى الباحة الأدبي الخامس، ص 307.

[3] – ينظر: عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص 82.

[4] – ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية بغداد، العراق، ع1، مج 8، 2009، ص 259.

إذا سلمنا أن هوية الإنسان تتحقق بفعل مجموعة من التراكمات المترتبة عن مجموعة من الأحداث التاريخية، فإن الطابع السردي يغدو معيارا هاما في طرح موضوع الهوية «فالسرد عنصر يأخذ به الزمان طابعه الإنساني وعلى هذا الأساس يغدو الفعل الروائي تعبيرا عن الرغبة في المعرفة، معرفة العالم والمساهمة في تأسيسه»[1] هذه المعرفة تأسس وفق معطيات تاريخية وثقافية مما يعطي الهوية بعدا أوسعا إذ تتشكل وفق إطار مرتبط بالتاريخ.

تستطيع وحدة التاريخ في الجمع بين مجموعة من الأفراد الذين يكون لهم تاريخ مشترك أو يتمتعون بوحدة المصير فيغذي هذا الطرح وحدة الهوية التي تصبح «عبارة عن نتاج ثقافة واحدة؛ إذ تصبح الهوية صانعة للوحدة؛ لأنها تعمل إجمالا في جميع الظروف بلا انقطاع أو تراخ، وبالتأكيد يمكن أن تتحدث عن هوية اجتماعية ودينية ووطنية وتاريخية»[2] فالهوية وفق هذا المنظور هي نتاج لحياة ونشاط الإنسان عبر مجموعة من الحقب التاريخية التي تأثر فيها، وتدفعها إلى بعض المتغيرات الجزئية لكن يبقى الشرط التاريخي ملتصقا بما إلى أبعد الحدود من خلال «إنتاجه للأزمنة الثلاث، الماضي والحاضر والمستقبل، مهما يكن من تعلقه أو تعليقه بالماضي، ويأخذ النظر هنا في الواقع على أنه يجسد أفراد والعالم ماديا واجتماعيا مع التسديد على أنه إذا كان زمن الواقع يبدو وحدة الزمن المعيش»[3] هذا التجسيد الذي يمارسه التاريخ هو تشكيل لصورة البشر وماهيتهم وبحث في وجودهم.

كما يطرح "بور يكور"(Paul Ricœur) رؤيته الخاصة لدور التاريخ في إعطاء الهوية بعدا أوسع من خلال حديثه عن تقنية السرد في الحوادث التاريخية فـ «الشخص حسبه، يتمتع بنظام الهوية الدينامي التي تتميز به القصة المرورية، فهوية القصة هي التي

---

[1] – إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 33.

[2] – علي أحمد علي: حديث الهوية، جدل التاريخ والجغرافيا، موقع www.sodarisse.com صادر بتاريخ: 26-12-2010، تاريخ الدخول: 10فيفري2017.

[3] – نبيل سليمان: الزمن الروائي بين الواقع والتاريخ، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي والثقافي السعودي، ع17 مارس 2000، ص 03.

تصنع هوية الشخصية كيف ذلك؟ يتصد ذلك عن طريق الديالكتيك المزدوج: التنافر/التوافق فهناك هوية تمثل عينة الطبع بمعنى الدوام في الزمان من جهة وهناك ذاتية متأنية من استمرارية الذات الفاعلة من جهة أخرى»[1].

فالقصة المروية عنده هي الحادثة التاريخية التي تؤرخ لفترة ما من حياة الإنسان، هذه الحادثة تصنع هوية الفرد من خلال تفاعله مع محيطه.

ويخلص "بول ريكور" (Paul Ricœur) إلى اعتبار علاقة الهوية والتاريخ توجد بواسطة «السرد بشكلية التاريخي والتخيلي في عملية جدلية تومئ بإعادة تشكيل الفعل حكيا يرسم الأحداث منحازة تستدعي نموذجا ما»[2] فإذا شكل السرد التاريخي هوية ما، فإن السرد التخيلي يقدمها وفق مجموعة من العلاقات المتشابكة.

بعد هذا يمكن القول أن الرواية أو السرد التخييلي تخلق وتمثل علاقات جديدة بين الهوية والتاريخ، ويجسد الهوية ويتجول السرد وسطها لنقل التاريخ.

تطرح الرواية التاريخ والهوية من منظور الإجابة على أسئلة الراهن أو الواقع الذي يواجهها «ففعالية وجود المادة التاريخية في ثنايا الخطاب الروائي لا تبقى على صفة جامدة بعيدة عن أثر الفاعليات النصية حيث أن المناقصة في هذه الحال باستطاعتها أن تقدم المعنى الموضوعي للتاريخ في إطار مقارنة التاريخ بالراهن وتقديم قراءة موضوعية لطبيعة المادة التاريخية على علاقتها بالحاضر»[3].

هذا الحاضر الذي يعيشه الفرد لا يفهم إلا عن طريق إثارة مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالهوية واهتمامات الأفراد، وتندرج الهوية والتاريخ داخل النصوص الروائية في شكل

---

[1] – جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، ص 106.

[2]– حاتم الورفلي: بول ريكور، الهوية والسرد، ص 58.

[3] – فتحي بوخالفة : التجربة الروائية المغاربية، دراسات في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتاب الحديث، إربد الأردن، دط، 2010، ص 412.

مجموعة من المستويات، لكن الغالب أن الهوية عادة ما تقدم على لسان شخصيات تاريخية أو عادية عاشت فترة تاريخية ما.

يلخص الباحث "نضال الشمالي" حضور وأبعاد الهوية التاريخ في الرواية، في مجموعة من النقاط[1]:

1- استدعاء الوقائع والشخصيات التاريخية إذ تحاول الرواية إثارة الماضي في قالب معاصر يخص حياة الفرد الطامح إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المرتبطة بوجوده.

2- إيجاد مناخ تضطلع فيه شخصيات غير تاريخية لما يخصها التاريخ بالدقة التي خص بها الشخصيات التاريخية المثبتة نصا بأعمال متخيلة، والهدف هو مناقشة فترة زمنية محددة لاستخلاص العبر والغايات هذه ما يمكن أن نطلق عليها بالهويات الهامشية أو القضايا الفرعية التي يصغها التاريخ الرسمي.

3- قراءة الأحداث التاريخية من خلال انعكاسها على الناس البسطاء وتفكيرهم ونمط حياتهم وهوياتهم وكيفية ردود أفعالهم، وهذا من أجل التغلب على نمطية السرد التاريخي حيث يركز الراوي على هوية الأناس العاديين المتعلقين بالحياة الشعبية البسيطة.

4- كثيرا ما يكتب التاريخ الرسمي من وجهة نظر واحدة ويصف هوية الأقوى أو ذوو السلطان أو النفوذ، فتعيد الرواية البحث عن مصير هوية المهمشين والمقموعين الذين يحاولون طرح هوية بديلة، داخل هذه النصوص للتخلص من هاجس الهوية الحقيقية التي تسيطر عليهم.

---

[1]- ينظر: نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص ص 128-129.

5- ملخص الفصل:

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- يتقاطع مفهوم الهوية مع عديد المصطلحات وبالتالي فهو مصطلح زئبقي لا يمكن الإمساك به؛ أي غير ثابت فهو يخرج إلى معاني متعددة، فقد يحيل إلى مفهوم الشخصية باعتبارها مجموعة السمات التي تحدد البنية الفيزيولوجية للفرد، ويحيل إلى مفهوم الذات بكل ما تحمله من خبرات ومرجعيات كما يحيل إلى مفهوم الأنا الذي يتحدد انطلاقا من مفهوم الآخر.

- التاريخ عبارة عن أحداث ماضية تحمل كل ما يتعلق بالإنسان ويعالج -بإعتباره علما- أهم المراحل التي نشأ في ظلها الفرد والحوادث الكبرى ظلت تلقي بآثارها عليه، لأنه في تشكل دائم يأخذ معناه وفق تطوره المتغير عبر الزمن.

- يتقاطع التاريخ مع السرد في كونهما يعتمدان على كينونة الإنسان، إذ يعتبر المادة الرئيسية لكليهما فالجماعات مرويات وسرود حسب إدوارد سعيد.

- تقوم الرواية على استراتيجية التمثيل الذي هو خلق صورة جديدة لما هو موجود في الواقع بواسطة أدوات المتخيل وهذا الأخير يستعمل اللغة وسيطا له.

- تمثل الهوية في الرواية عن طريق استحضار مجموعة من السياقات الثقافية حتى تقدم في الأخير باعتبارها مجموعة من الأنساق وتكون الهيمنة للمكون التاريخي.

- تطرح الهوية في الرواية انطلاقا من وجود علاقة صراع بين الأنا والأخر.

- تتكون الهوية من وسائط تاريخية (المكون التاريخي)؛ أي جملة الأحداث الكبرى التي تؤثر في الفرد ووسائط فكرية متمثلة في طرائق التفكير وتؤثر كذلك الظروف الحيوية والجغرافية في تشكلها.

- أما عن علاقة الهوية بالتاريخ فإنها تطرح من منظورات مختلفة؛ فإذا كان التاريخ جملة أو سجل أحداث ماضية فإنه يسرد الأحداث الكبرى، هذه الأحداث هي مرتبطة بجوهر الهوية.

– يغدو التاريخ عنصرا مرجعيا في تشكل الهوية؛ إذ ترتبط حياة الفرد بأهم الحوادث المؤثرة في مسارها.

الفصل الثاني

ـ تمظهرات الهوية و التاريخ في رواية الرميم للأزهر عطية ـ

1- ملخص الرواية

2- تمهيـد

3- الهوية ورهانات الواقع

4- جدل الماضي و الحاضر

5- الهوية و مرجعية التاريخ

6- الهوية بين الأنا و الآخر

1- ملخص الرواية:

تتناول رواية الرميم[1] للمبدع الجزائري الأزهر عطية*[2] فترة تاريخية مهمة في الجزائر؛ إذ تدور أحداث الرواية حول استشهاد أحد أبطال حرب التحرير الجزائرية، والعثور على جثته دون رأس، وبعد إحضاره رفقة زميلين له، لا يستطيع أحد التعرف عليه، غير أن زوجته تعرفه، ثم تقوم بخطف الجثة وتطالب السلطات بعد الاستقلال بضرورة الحصول على رأس الجثة حتى تقبل تسليمه، وترفض جميع المحاولات التي تقوم بها السلطات، غير أن ابنها (الربيع) يستسلم للأمر الواقع ويسلم جثة والده (خالد) للسلطات بعد وفاة أمه (الكاملة).

تتوزع الرواية على ثلاثة فصول، يحمل كل فصل إشعاعات تاريخية حول ثورة نوفمبر إذ تبدأ الحكاية باستشهاد الرجل وفقدان رأسه، ورحلة أرملته المستمرة وغير المتوقفة في بحثها الدائم عن رأس الجثة، وتسرد إلى جانب هذا أخبار الفلاحين اليومية، وتنقلات المجاهدين وممارسات المستعمر وهمجيته إزاء الممارسات التي يقوم بها.

تطرح الرواية ذلك الانسجام الكبير بين الهوية والتاريخ من خلال رصد مبادئ وقناعات الشعب الجزائري، من خلال رفض (الكاملة) تسليم الجثة (خالد) ودفنها تحت شجرة زيتون بالقرب من المنزل وتظل الصورة أو المشهد المسيطر على الرواية هو صراع الأم والابن في سبيل حصولهما على رأس الجثة.

وبعد الاستقلال تسعى السلطات الجزائرية إلى إعادة دفن جميع جثث الشهداء في مقابر رسمية، وهذا ما تعترض عليه (الكاملة) التي ترفض كل المساومات والإغراءات التي تسعى السلطات إلى تقديمها عن طريق محاولة استمالة أسرة الشهيد بإحضار جماجم مزيفة غير أن المسار الذي تبنته يجهض جميع المحاولات، كما تعرض الرواية المساومات الأخرى التي تعرضت إليها النسوة والأرامل بعد الاستقلال، والمعاناة الكبيرة التي كانت لهنَّ بالمرصاد، وتنجح هذه المرأة في الحفاظ على العهد الذي قطعته، وقبل وفاتها تستدعي إبنها الذي سافر للدراسة

---

[1]- الأزهر عطية: الرميم(الرميم)، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2014.

*مبدع جزائري من مدينة سكيكدة، له مجموعة من الروايات: خط الاستواء، اعترافات حامد المنسي، يسار بن الأعسر.....

في فرنسا، وتوصيه بالحفاظ على جثة والده، غير أن هذا الشاب يفشل في المهمة الموكلة إليه بسبب إصرار السلطات.

إن هذه الرواية تطرح ما يشير إلى الهوية المرتبكة غير الكاملة، وتبحث كذلك في انهيار القيم والتطلعات الكبرى للمجتمع، بمجرد الاستقلال، بدأت (الكاملة) تعاني من المساومات في شرفها بحجة حمايتها، لكن الطامعين كانوا يريدون أرضها وفقط، لكن هذه المعطيات التاريخية الموظفة تقترب مما هو موجود في الرواية التاريخية، باعتبارها تؤرخ لحقبتين مهمتين من تاريخ الجزائر السياسي لكن هذا لا ينفي حضور عنصر التخييل وبخاصة في طرح الرواية لتلك العلاقة الغرامية بين ابن الشهيد (الربيع) وتلك الشابة الفرنسية.

فهجرة "الربيع" كانت لها دوافعها الرئيسية وذلك بسبب وقوفه على حالات الفساد الكثيرة التي قام بها ورثة الاستقلال.

وتميل هذه الأحداث إلى النظرة السياسية التي تبنتها الحكومة التي تعتقد أنها كرمت وأحسنت إلى أسر الشهداء، لكنها في الحقيقة لم تنصفهم ولم تعوضهم نفسيا.

2- تمهيد:

تحاول هذه الدراسة طرح علاقة الهوية والتاريخ ضمن علاقة حوارية، فالرواية تعيد تحييك بعض اللحظات التاريخية المهمة وصبها في قالب تخييلي صرف، ومع هذا الحضور التاريخي، تطرح مسألة الهوية التي ارتبطت في الجزائر بالعنصر التاريخي، فالثورة الجزائرية كانت هزة عنيفة على الوجدان الإنساني الجزائري، والأحداث التاريخية كانت محطات مهمة في صيرورة المجتمع، ولعل ارتباط الهوية بالتاريخ يعود إلى تلك الصراعات النفسية التي يعيشها الفرد في عالم متغير، إذ بعد الاستقلال خابت طموحات الشباب وأسر الشهداء في نيل حياة جميلة وهادئة.

طرحت"رواية الرميم" مجموعة من الإشارات التي تحاول الإجابة عن الهوية وعلاقتها بالتاريخ، فالهوية مفهوم زئبقي يتجلى داخل الرواية من خلال رحلة الذات أو الهروب من الواقع والعودة إلى واقع مرير، ويثير حضور المرأة التي اضطهدت أثناء الاحتلال وتعرضت للمساومة

بعده، وكذا تشير إلى إشكالية سطوة الماضي على الحاضر، مما يولد هاجسا في مفهوم الهوية التي تظل أسيرة لسيطرة التاريخ، فهي تتحول مع تقلباته ومجرياته، وأخيرا تظهر هوية الوطن المفقودة، فما الرميم وغياب الرأس إلا دليل على الهوية المتشظية غير المكتملة.

3- الهوية ورهانات الواقع:

تخضع الهوية في تشكُّلها إلى عدة مؤثرات، وقد أشرنا سابقا إلى أن التاريخ يُعدُّ مرجعا مهما في بلورتها، هذا التاريخ هو مجموعة من الأحداث المتصلة بالحياة اليومية والهوية مرتبطة بواقع تسير فيه وتُشكل رؤاها الخاصة في ظله.

سواء كانت هذه الرهانات تتعلق «بالحياة الداخلية للإنسان وتمثلاتها الفكرية وعلاقاته الاجتماعية»[1]؛ أي جميع ما يؤثر في الفرد داخل واقعه.

تطرح رواية "الرميم" هوية خاضعة لواقع صعب مليء بالانكسارات والانهزامات النفسية وسيسعى هذا العنصر أن يقف على بعض الهويات التي عاشت رهينة للواقع؛ أي الظروف التاريخية المحيطة التي لم تستطع أن تجابهها أو أن تقف ضدها بل عاشت معها في ظل صدام.

أول بنية نصية تطالعنا بها الرواية هي عتبة العنوان، يقول شكري عياد: «هو أول ما يلقاه القارئ من العمل الأدبي»[2]، وبالعودة إلى الرواية فعنوانها "الرميم" يشير إلى شتات جثة غير مكتملة أو مبتورة الأعضاء، هذا العضو هو الرأس، ولا شك أن ماهية الإنسان يحددها رأسه الذي يحمل ملامح الوجه، والسمات المشكلة له، لكن ورود هذا العنوان يحمل كثيرا من الإجابات داخل النص، فالعنوان أكبر اختزال لفظي للمتن، فهو كما يقول "رولان بارت"العنوان هو أمير الدوال[3]، فلفظة "الرميم" على علاقة منسجمة بمضمون الرواية فالرميم هي جثة

---

[1]_ عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ –سلطان الحكاية وحكاية السلطان– دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1 2010، ص 189.

[2]_ قصي عدنان محمد: سميائية العنوان في السرد القصصي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2009، ص 13.

[3]– ينظر: عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ص 69.

مقطوعة لرأس شهيد سقط إبان الاحتلال الفرنسي وبقي دون رأس رغم المحاولات اليائسة لاسترجاع رأسه «كانت إحدى الجثث الممددة هناك مقطوعة الرأس ومشوهة أكثر من الآخرين إذ حضرت الجثة وغاب الرأس يأتون ويذهبون يحومون حول المكان من قريب أو من بعيد ومنهم من كان يذهب ثم يعود كلهم كانوا يحاولون التعرف على القتلى، كما طلب منهم، أو كما لم يطلب، كبار وصغار، رجال وعدد قليل من النساء الملتحفات بالسواد أو البياض»[1] فهذا المقطع يحيل مباشرة إلى شخص ناضل حتى استشهد لكن قُطع رأسه لطمس ملامح هويته حتى يبين الآخر "الاستعمار" أن هذا الرجل غير مكتمل وبالتالي تضحيته ناقصة وهذا الأمر يعد بحد ذاته تغييبا للهوية.

من جهة أخرى لم تفلح المحاولات المستمرة للعثور على رأس الجثة من قبل زوجته (الكاملة)، وبالتالي تعرض هذا الشهيد إلى نوع من عدم الاستقرار حتى في مماته من خلال نقل جثته من مكان إلى آخر، رغم محاولات السلطات الرسمية إغراء عائلته بدفن الجثة بدون رأس«فإن السلطات الرسمية مازالت أيضا على عنادها ومراوغاتها ومحاولاتها المتكررة تحاول إقناعها بكل الطرق ومختلف الوسائل للخضوع إلى الأمر الواقع الذي لا مفر منه حسبهم وحسب إدعاءاتهم وقد وصل بهم الأمر إلى أن عرضوا عليها بعض الجماجم المجهولة التي كانوا يعثرون عليها»[2].

فالشهيد تعرض لخيانة من قبل السلطات التي حاولت فرض الأمر الواقع على ذويه أهكذا يكون تكريم من ضحوا بأنفسهم لخدمة الوطن، ونيل كرامته واستقلاله، وأكبر الانهزامات التي تعرض لها هي دفن جثته دون رأس في نهاية المطاف «قد تكون الأخيرة حتى يتجنب إقحام جمجمة غريبة على الرفات وهو ما صار محتملا جدا، وحتى يريح والده الذي قال له في حلمه، إنه قد تعب من الوضع الذي هو عليه، وإنه يريد أن يستريح، وله كل الحق في أن

---

[1]– الرواية، ص 32.

[2] – الرواية، ص 163.

يستريح بالفعل مثلما يستريح الآخرون»[1]، لقد فضل الابن الحفاظ على حق والده في الحصول على بعض الراحة، متمثلا في العثور على رأس الجثة.

إجمالا يمكن القول أن الرميم هو الاستقلال الناقص أو الهوية المرتهنة بسياقات تاريخية، أو الفاشلة في الحفاظ على وجودها، فجثة بدون رأس هي هوية ناقصة، واستقلال بدون مكاسب هو فشل في الحفاظ على هوية كبرى غير مكتملة .

التحدي الثاني الذي تطرحه الراوية حول شخصياتها، هو حضور المرأة في المشهد الثوري، ونقصد به «كل امرأة ثائرة على الوضع حتى بعد الاستقلال (...) وقد استثمرت الرواية الجزائرية الثورة لتقديم صور عن المساهمة الفعالة للمرأة في الكفاح المسلح، من خلال تقديم نماذج عن المرأة الثورية»[2]؛ فالمرأة كان لها الدور الفعال للمشاركة في الثورة فقد ضحت وناضلت ودفعت أغلى ما تملك.

"الكاملة" بطلة الرواية تدفع زوجها ثمنا للتضحية، لنيل حلم التحرر من بطش الاستعمار، لكن كل آمالها خابت إثر الخيانة التي تعرضت لها، وسطوة الواقع الذي فرض عليها أمورا تناقض قناعاتها، إذ رفضت أن تسلم جثة زوجها، وتحدث الجميع بالبحث عن جمجمته المفقودة «توغلت في مواقع المعركة، وراحت تجوب أنحائها كل أنحائها، تجولت في عدة أماكن، مرتفعاتها و منخفضاتها، وتفقدت السهل والصعب منها، وبحثت في الأدغال والأماكن الجرداء تسلك بين الصخور ودخلت الكهوف والمغارات جابت أرض المعركة، وحدها كانت هناك، ووحيدة كانت»[3]، لقد ظلت وحيدة بلا غاية أو هدف، رأت أن كينونتها مفقودة تركها الناس لحالها تجابه الواقع المر، عوض أن يلتفت لها أحد.

هذه الرحلة في البحث عن الجزء الضائع، هي رحلة لإثبات الذات، والهوية أو فرض صوتها وتحدي الواقع «وحدها كانت تنزف وتشرب من دمها ومن دموعها وهي تبحث بدون

---

[1] – الرواية، ص 233.

[2] – صالح مفقودة: المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع02 جوان 202، ص 2.

[3] – الرواية، ص 57.

جدوى، ولكن بدون يأس، كانت تبحث عن مفقودها، عن جزئه الضائع أو المضيع هناك، وعن نفسها الضائعة معه قضت النهار كله، وهي تبحث وتعاود البحث ولكنها لم تجده، ولم تعثر على أي شيء يدل عليه»[1]، هذا البحث يتعارض مع الواقع الذي لا يقدم لها أي مؤشرات أو حلول أو بوادر انفراج، إنما يواجهها بنكسات ويقوي حالة فشلها الذريع.

غير أن هذه التضحية العظيمة التي تقدمها تجلب لها بعض المشاكل أو المضايقات الكبيرة خاصة بعد انكشاف أمر الجثة المدفونة في الربوة، وهذا ما يرويه ابنها «أعتقد أن أبي مازال يسكن تلك الربوة التي أحبها كثيرا وأحبته وسكنها بعد أن سكنته، وأن أمي مازالت تحرسها، بل تحرسها معا، ولعلهما يحرسانها أيضا، وأنها مازالت دائبة على موقفها، وهي تبحث باستمرار عن الجمجمة الضائعة منذ أن قطعت جمجمة أبي التي ضاعت أو ضيعت، تلك الجمجمة التي صارت تقلقني أنا أيضا، مادامت لم تعد إلى مكانها مثلما تريد أمي»[2] هذا الرفض القاطع، سيجلب لها مشاكل كبيرة، تنظر إليها على أنها خيانة لحق الشهيد في أن يدفن بجمجمته، وأن رفاق الأمس تخلوا عنه، وعن ماضيه النضالي، أي أنهم تحالفوا مع وطأة الواقع ليقفوا ضدها.

تتضافر كل الظروف التي تقف عائقا أمام المرأة من أجل الحصول على راحة نفسية متمثلة في العثور على الجمجمة، والتي تجعل هويتها وجهدها وراحتها مرتبطة بها «وأمه مازالت تخرج كعادتها بين حين وآخر، ودون كلل أو ملل، لتبحث عن جمجمة أبيه في الأماكن التي تعتقد أنها محل شك، ولكن بدون جدوى، فهي تخرج دائما وتعود مثلما خرجت لا تحمل معها في نهاية المطاف إلا تعبها وإصرارها ومع ذلك فهي ما تزال ثابتة على موقفها الأول والأخير رافضة فكرة إعادة دفن رفات زوجها الشهيد»[3] هذه الظروف القاسية تقابلها(الكاملة)

---

[1] – الرواية، ص 57.

[2] – الرواية، ص 156–157.

[3] – الرواية، ص 162–163.

بإصرار وحسم، رافضة كل حل دون هذا لكن الواقع يسير إرادتها، وما الفشل الذي تعانيه إلا استسلام وفقدان للماهية وتخل عن الهوية.

إذا كانت فترة الثورة تقع في خانة معارضة للمرأة (الكاملة) هذه المعارضة تتمثل في فقدان الزوج، و عدم العثور على جمجمته ؛ فإن مرحلة الاستقلال لم تلب المطلوب، أو تسد الثغرة الموجهة التي تركها رحيله وتركتها أحزانها بسبب فشلها؛ فإن مرحلة الاستقلال كانت أكثر شدة وألما «وإن كانت هي مازالت باقية على موقفها ثابتة لا تتغير؛ فإن السلطات الرسمية مازالت أيضا على عنادها ومراوغاتها ومحاولاتها المتكررة تحاول إقناعها، بكل الطرق ومختلف الوسائل بالخضوع إلى الأمر الذي لا مفر، حسب رأيهم، وحسب إدعاءاتهم وقد وصل بهم الأمر إلى أن عرضوا عليها بعض الجماجم، التي كانوا يعثرون عليها هنا وهناك أثناء البحث عن رفاة الشهداء لإعادة دفنهم في مقابر خاصة»[1]

هذا الاستقلال كان من المفروض أن يحقق لها بعض الراحة والاستقرار، ويعيد لها هويتها المسلوبة وجدناه كرّس حالة من القهر والاضطهاد النفسي ف «أصيبت النساء إذن بخيبة أمل بعد الاستقلال، لأن المجتمع عاد إلى صورته الطبيعية الأصلية التي تنظر إلى المرأة على أنها قاصرة، لكن المرأة التي أثبتت جدارتها أثناء الثورة ما كان لها أن تستسلم بسهولة فقد تأثر بالموقف التحرري»[2]، بهذا الأمر فقد أهان الاستقلال هذه المرأة، التي جابهت وتحدت الظروف في سبيل حفظ موقفها رغم الإغراءات التي وقفت ضدها، وأرادت لها أن تظل تحت رهان الآخر وسلطته، ولو ظلت في حالة صراع مع الواقع، الذي فرض نفسه في نهاية المطاف.

الرهان الآخر الذي تطرحه الرواية هو فشل الابن (الربيع) في التعرف على والده، وعدم تحمل الوضع بعد الاستقلال، ثم الهروب نحو فرنسا رغم الخلفيات التاريخية التي تحملها هذه الأخيرة في علاقتها بالذات؛ هذه الذات (الربيع) في الرواية تُقدم بشكل مبهم وغامض، بلا

(1) – الرواية، ص 163.

(2) – صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2009، ص 19.

ملامح بلا غاية بلا هدف محدد في الحياة وهذا عكس الشخصية في الرواية إذ من المفروض أن «تعامل الشخصية على أساس أنها كائن حي له وجوده الفيزيقي، فتوصف ملامحها وصوتها ولباسها وسنها وأحوالها وهواجسها وآلامها وآمالها»[1]؛ إذ عكسته الرواية بلا ملامح ولا هوية، تائه يعاني اغترابا.

تبدأ معاناة (الربيع) من اللحظة الأولى التي لم يستطع فيها أن يتعرف على شخصية والده في ساحة القرية، «ماما لماذا جئنا إلى هنا؟

– لكي نرى هؤلاء الرجال.

– ومن هم هؤلاء الرجال.

– لقد رأيتهم مثلي ولا أحد يعرفهم.

– ماما، لماذا كان أحدهم مقطوع الرأس.

– لا أدري.

– لقد قطعوها مثلما قطعوا رأس الديك في المرة السابقة عندما مروا بنا، لقد رأيت أحدهم وهو فعل ذلك، أمسكه من رجليه ثم ضربه بسكين كبيرة، فسقط الرأس، وسال الدم بقوة.

– أسكت، لا تتحدث هكذا.

– لماذا؟ لقد رأيتهم يفعلون ذلك عدة مرات.

– أعرف ذلك، لقد فعلوها مع الحيوانات ومع البشر، بل وفعلوا أكثر من ذلك»[2].

هذا المشهد الذي يجعل (الربيع) جاهلا غير عارف لوالده، يؤثر عليه في حياته المستقبلية فهذه البؤرة تظل قابعة في مخيلته ووجدانه وبقية مراحل حياته، إذ ظل جاهلا بحقيقة الجثة حتى بعد قيام والدته بدفنها.

فالابن لم يكن يدري ما يحصل، ولم يملك الجرأة لسؤال أمه، ولم تخبره هي بالذي يحصل «وهناك مستقبل تكتنفه الأسرار ولكنه يشع دائما بشيء من الأمل الذي ينعش النفس، ويدفعها

---

(1) – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1998، ص 86.

(2)– الرواية، ص 36.

إلى التشبث بالحياة، ثم استقر بصرها على ابنها، وهو يقف عند باب المنزل يفرك عينيه اللتين فاجأهما نور الصباح المشرق وغزتهما أشعة الشمس الجميلة، فكانت تنظر إليه بحب وخوف ولكن بأمل.

إن الحياة ستكون له في الأخير، وسيكون له المستقبل الذي سيكون به، ولكن كيف سيكون ذلك؟ وكيف ستكون صورته؟ إنه لا يسعنا إلا أن نحلم به ونتمناه في صورة أجمل»[1].

هذا الحلم الذي تمنته (الكاملة)لابنها لم يتجسد على أرض الواقع؛ فالطفل سيكبر وفي نفسه نقص لأن مرحلة بداياته الأولى كانت مشوهة، هذه المرحلة ستظل قابعة في وجدانه، ولا يستطيع التخلص منها، ويستمر في حياة جديدة أو يفتح مرحلة مهمة فالأثر النفسي الذي ولدته رؤية ذلك المشهد تستحكم باقي أطوار حياته.

هذه المحطة تدخل (الربيع) في صراع مع الوجود، أو في مرحلة اغتراب نفسي جعله يحس «من خلاله بانفصاله عن الآخرين، وعدم الانسجام معهم، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطره إلى الانعزال»[2] يفكر (الربيع) في أن الهجرة أفضل السبل لتجاوز آلام الماضي من خلال الذهاب والعزلة عن مجتمع مليء بالآلام والخيبات «كان يتمنى أن يرى ذلك العالم الآخر، ولو في الأحلام، وقد ظل ذلك الحلم ينمو، ويتشكل في داخله إلى أن صار رغبة ملحة ثم هدفا منشودا، ليس حبا في ذلك العالم، ولا في أهله، وإنما هي رغبة مغلقة، دائما بأغلفة متعددة ومختلفة، فهناك خلاف الحقد وغلاف حب الاستطلاع وهناك أغلفة أخرى، لم يستطع أن يجد لها تعريفا أو تفسيرا»[3] هذا الحلم هو أمل لتجاوز الماضي والأحداث التاريخية التي مر بها، أو هو محاولة للهروب من واقع يجسد له معاني الخيبة.

يمثل السفر بحد ذاته رحلة للبحث عن الهوية المفقودة، أو محاولة التعويض عن نقص يلمُّ بـ(الربيع)، لكن الاختبار يقع على وجهة لها مجموعة من الخلفيات التاريخية المرتبطة

---

[1] – الرواية، ص 71.

[2] – قيس النوري: الاغتراب، اصطلاحا، مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع01، 1979، ص 33.

[3] – الرواية، ص 147.

بالماضي «كثيرة هي الأوطان التي تفرض على أبنائها أن يهجروها ويبعدوا عنها هذا ما تعلمناه في هذه الحياة، يهجرونها بالمحبة تارة، فيأخذون حبهم لأوطانهم في قلوبهم ويذهبون بعيدا يتمتعون بذلك الحب سرا أو يتأملون به أوله، ومنهم من يهجرونها بغير محبة، فيغيب عن وطنه كارها أو مكرها، وقد يأخذ حبه معه، وقد يتركه وراءه ويذهب وحيدا إلى غربته تلك باحثا فيها عن حياة أخرى»[1].

فالغربة تحمل معنيين، قد يكون المرء فيها مضطرا إلى الابتعاد أو يكون راغبا فيه لتجاوز آلام الماضي، وقسوة التاريخ، "الربيع" هنا يحاول تجاوز الحدث والبحث عن بديل للاستقرار فيكون الاختبار على مراجعة الفوضى التاريخية وانتقاء عناصرها نتفة نتفة ومحاولة وإعادة تركيبها بشيء من الانتظام[2].

لكن الغربة لم تحقق المرجوَّ، وهذا نابع من عدم قدرة الابن على البقاء هناك، لأسباب تاريخية، ففرنسا هي مستعمِر الأمس والجو الثقافي يفرض سطوته عليه انطلاقا من عدم قدرته على التكيف هناك ولبقائه رهينة للماضي الموجع أو المؤلم «وإنك تعود الآن وأنت تحمل بين طياتك وبداخلك أشياء كثيرة من الماضي المغتصب الذي عشته والذي لم تعشه وأغلبها مؤلم وحزين، ومن الحاضر الذي يحاول أن يقولبك كما يريد، وتحاول أنت أن تقولبه كما تريد، ومن المستقبل الذي لم يصلك بعد والذي أنت تحلم به، وترسمه في صور جميلة، إنها المرة الأولى في حياتك التي تتذوق فيها طعم العودة من الغربة»[3]، هذه العودة الاضطرارية المرفقة بتوقعات تحمل الخيبة، تدل على استسلام الابن للواقع، وعدم قدرته على تجاوز الماضي، وإنكاره أمام التاريخ، وبالتالي فهويته ظلت مغتربة وغير مكتملة، أي أن الهوية بلا هدف لأنها لم تكتسب أي شيء جديد وبالتالي «يُفقد الفرد إثرها الهدف من وجوده ومن عمله، ومن معنى الاستمرارية

---

(1) – الرواية، ص 165.

(2) – ينظر: إدوارد سعيد: خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 28.

(3) – الرواية، ص 155–156.

في الحياة ويترتب على ذلك اضطراب في أسلوب الحياة، مما يؤدي إلى التخبط في الحياة بلا هدى»[1]

حملت الغربة التي عاشها الابن مشاهد لعطب الهوية واستسلامها للظروف الواقعية العصيبة، إذ لم يستطع أن يثبت وجوده أو يخلق هوية جديدة تقوم على المقاومة والرفض بل طغت الظروف المحيطة به على حلمه وكينونته.

4. جدل الماضي والحاضر :

يمكن طرح سؤال مركزي أو جوهري في هذا الموضوع ألا وهو: لماذا تظل الهوية أسيرة للظروف الماضية المحيطة بها ؟

تستسلم الذات للماضي محاولة «إضفاء شعرية على القوى التاريخية والاجتماعية والإنسانية التي جعلت من خلال مسار طويل حياتنا الراهنة على ما هي عليه»[2]؛ إذ يظل الفرد أسيرا لحقبة ماضية من حياته، ولا يستطيع العودة إلى الحاضر واكتشاف المستقبل،إلا عن طريق البقاء في الحقب الماضية وجعلها دليلا ومرجعية لحياته.

تظل حادثة دفن الجثة بدون رأس مسيطرة على جميع أحداث الرواية وزوجة الشهيد التي توقف بالنسبة لها الزمن أثناء رحلة بحثها عن الرأس المفقود، فتعيش بين ماض مرهق وحاضر غائب الملامح فلم يعد همها أو غايتها إلا العثور على الجزء المفقود وإعادة دفنه،هذه الإعادة هي في حقيقة الأمر استكمال للهوية الناقصة.

ترفض (الكاملة) أي عرض جديد للزواج، أو بدأ حياة جديدة، وهذا إيمانا منها بواجب الوفاء « لا أريد أن أكون إلا سيدة نفسي وملك نفسي فقط ،فلا تتعب نفسك بعد اليوم، وإلا كان لي معك شأن آخر يا ولد (الحركاتي)، فدعني وشأني، وأبحث عن ضالتك في جهة أخرى وفي مكان آخر، ومع ذلك فقد ظل يحاول إقناعها بأنه يريد حمايتها وحماية ابنها،ورد الطامعين فيها وفي أرضها ولكنها كانت في كل مرة ترد عليه بالرفض وكان رفضها لسنا في بداية الأمر

---

[1] – قيس النوري: الاغتراب، اصطلاحا، مفهوما وواقعا، ص 35.

[2]– نضال الشمالي : الرواية والتاريخ، ص 134.

وكلما عاند كلما اشتدت لهجتها معه ولما لم يتوقف عن ذلك قررت أن تنتقل إلى فضحه أمام العائلة، ثم أمام كل الناس، وبذلك راحت تكشف أطماعه ونيته المبيتة وكل إدعاءاته المزيفة التي مافتئ يعلنها أمامها ويعيد»[1].

حيث ادعت الكاملة هنا أن (ولد الحركاتي) رجل غير شريف، ورفضت الارتباط به فإنها في حقيقة الأمر لا تستطيع بدأ حياة زوجية جديدة وفي رقبتها دين متمثل في العثور على الجمجمة؛ أي أن آثار الماضي تعيقها في بلورة ماهية جديدة للحاضر، تجعلها في موقف أقوى، هذا الموقف يثير قضية المرأة الجزائرية بعد الثورة أي أنها جسدت بهذا الموقف الشيء الذي حرمت منه كما حرمت من الحب، وهذا الحرمان يقابله السعي وراء البحث عن الرأس فـ(الكاملة) وجدت نفسها أسيرة للماضي،لكنها لم تحقق الراحة النفسية المطلوبة فيغدو الماضي بكل خيباته وانعكاساته مرجعا مهما في هويتها الراهنة، حين لا تستطيع تجاوزه أو تغييره أو رفضه؛ إنما يظل قابعا بكل سطوته، فيغدو مرتبطا بالتاريخ متعلقا به ويصبح الواقع أسيرا لما مضى قبله، من جميع النواحي المادية وغير المادية.

هذا الارتباط يولد إحساسا بالبعد عن الواقع، وعدم الرضا عن المستقبل، أو ينتج عزلة نفسية تُبْعدُ الشخص عن كل ما يتعلق بالحياة بل يتعدى الأمر إلى الارتباط بالمكان الذي يضمر عدة مدلولات تاريخية تعمق ارتباطها بالماضي الذي يصبح في الرواية مشحونا بالزمان والمكان؛ فهي تذكر الماضي وحب زوجها للربوة، التي حرصت على جعلها مأواه الأخير « إنه الآن هناك تحتويه رابيته ولكنه ينام في غير راحته وفي غير اطمئنان في المنحدر الجنوبي لرابية جميلة تستقبل كل صباح أشعة الشمس الدافئة، وتتمتع بجمالها، وهي تمر من هناك إنه هناك يحرس ما كان يحرسه، ذات يوم ويرى ما كان يراه، ويتمتع بأشيائه التي تركها والتي لم تكتمل سعادته بها ولم تكتمل سعادتها به، ولكنه شيء مؤلم جدا أن ينام هناك جثة هامدة بدون رأس، رغم أنه مؤنس وجميل»[2]؛ إن المكان المرتبط بحياة (خالد) (الشهيد) وإصرار (الكاملة)

---

[1]– الرواية، ص 89.

[2]– الرواية، ص 51.

على إعادته إليه هو ارتباط بهوية الانتماء إلى أرض الصبا أو الماضي الحامل لكل قيم الحب والسعادة وإن دل المكان على الماضي، فهو دلالة على تشكل الهوية؛ فالناحية الجغرافية هي أحد المكونات التي لا يمكن الاستغناء عنها في بلورة هذا المفهوم.

إن التاريخ أو الزمن لا يمكن أن يفهم بعيدا عن المكان أو الفضاء الذي يؤنث لحياة الفرد وينمي علاقاته فيها؛ فالتاريخ أو الزمن يسهم في إضفاء نوع من العلاقة بين الشخص ومحيطه ولأن الشهيد كان في ماضيه يحب تلك الربوة، وفشل الزوجة في الحفاظ والحصول على الجمجمة، جعلها تكافئه أو تعوضه بأن تدفنه في المحيط الذي يحبه أو كان يحبه؛ إذ تغدو الربوة في الرواية «الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ولذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه»[1] .

حين تصبح الربوة هي المكان الملائم للجثة، وكأنها محيط اجتماعي عادت إليه بعد غياب « أيها العائد إلى ما يحب، أيها النائم هناك إلى الأبد كنت هنا ذات يوم، ثم صرت هناك بل كنت هناك، فعدت إلى هناك، كنت تروح وتغدو في هذه الربوع، وفوق هذه الروابي وبين شعابها وهادها وعند سفوحها، توزع أحلامك وأحلامنا، وأمانيك الجميلة تزرعها في كل مكان وتبذر عرقك وخفقك النابض، ثم سقيت كل ذلك بدمائك الحارة، وفي لحظة حب عارم لا تشبهها كل اللحظات، أيها النائم هناك في كماله، رغم نقصه»[2].

ثم تؤكد (الكاملة) التي تحتفي بالفرح رغم مظاهر الحزن البادية عليها، بالانتصار الذي حققه الشهيد رغم كل ما لحقه، يكمن هذا الانتصار في أنها استطاعت إعادته إلى مأواه الأول أو استطاعت جعل هويته تحقق الكمال رغم النقص« ورغم ذلل فإنني أحسد تلك الربوة الجميلة التي صارت تحتضنك الآن، وتضمك إلى صدرها، وتنفرد بك، وهي تمنحك من المحبة

---

[1]– ياسين النصير :المكان والرواية، دار الشؤون العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986، ص16.

[2]– الرواية، ص52.

والعطف في رحلة لن تتوقف ومسيرة لن تعيدك إليَ إلا إذا أشفقت عليا ذات يوم وأخذتني إليك»[1].

لكن رغم هذا الفوز الذي حققته الرفات، تبقى (الكاملة) منفصلة عن ذاتها، وعن وجودها كيانا اجتماعيا، فهي متنازلة عن ماهيتها وهويتها، بسبب الفقد الذي تعانيه والنقطة الأخرى التي تهيمن على (الكاملة) هي حنينها إلى الماضي، وأثر هذا الأخير على حياتها في الحاضر « كثيرا أمام المنزل وحيدة وتأملت أكثر، وتحركت في ذاكرتها الأحداث الماضية، والصور التي مرت بها في حياتها القريبة والبعيدة، ورحلت في الأزمنة بدون انتظام وبدون حدود، فهي توقفت عن الرحيل، وأوقفت كل شيء قطعت كل الأشرطة، والصور التي ظلت تلاحقها، والتي كانت تستفزها وتثيرها وتسللت إلى المنزل، دارت حول نفسها نحو الباب الذي كان إلى يسارها ثم اختفت»[2]،فسطوة الماضي تظهر تلك الفترة التي تراها حاملة لكل القيم وحالات الاستفزاز النفسي.

بتزايد الماضي من خلال ربط (الكاملة) لحاضرها أو واقعها بالفترات السابقة من حياتها أثناء زواجها وتعرفها على زوجها في هذا المنحى تلجأ الرواية إلى تقنية الاسترجاع التي تتضمن «مخالفة لسير السرد،تقوم على العودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية »[3]،وهذا ما نلمسه عند عودة (الكاملة) بذاكرتها وحديثها عن قصة زوجها بـ" خالد "وما تحمله من بعد عميق في تغيير صورة حياتها «ولقد شاءت الظروف أن تجمع بين خالد والكاملة،خالد الذي فقد أباه وتخلت عنه أمه، فعاش في رعاية جده الحركاتي، والكاملة التي توفيت أمها وبقيت تعيش مع أبيها الزواوي صديق الحركاتي، وهو فلاح مثله، صديقان جمعتهما الحياة والأرض أن يجمعا ذريتهما، من بعدهما من خلال الجمع بين خالد والكاملة، فكان بذلك زواجا مبكرا ولم الشمل

---

[1]– الرواية، ص52–53.

[2]– الرواية، ص55.

[3] – لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية،دار النهار الجديد،بيروت،لبنان،ط1، 2002، ص 18.

لبقايا عائلتين»[1] هذه القصة الماضية تبين سبب تعلق (الكاملة) بـ (خالد)؛ فقد أسسا لهوية كاملة؛ فاليتم جمع بينهما وبين الظروف التاريخية في تلك الفترة أو الاستعمار القاهر كان سببا في توحدهما ، كل هذه الآلام تكونت لما وجدت عزاءها في (خالد) ، وبالتالي فهي لا تستطيع الآن نسيانه أو بدأ حياة جديدة بعده، والبديل مفقود.

يؤدي الاسترجاع هنا وظيفة مهمة باعتباره سلط الضوء على حياة الماضي المتعلق "بالكاملة" وبين سبب رفضها القاطع له لدفن زوجها بدون رأسه الحقيقي، والذي تعتبره خيانة فهي بتفكيرها في دفنه دون رأس لا تخون زوجها، بل تخون والدها والأعراف فقد كان ينظر إليها على اعتبارها امرأة ناضجة « كانت الابنة محور اهتمام أبيها الزواوي، ولعلها كانت تتقدمها وكان الحركاتي معجبا بابنة صديقه التي كان يرى فيها امرأة كاملة النضج رغم صغرها فتقدم لخطبتها لحفيده، وقد أعجب الزواوي بالفكرة ولم يرفضها، بل يبدو أنه تحمس لها من بدايتها ووافق عليها بدون شروط؛ إذ رأى في الشاب وفي جده، وحتى في العائلة كلها ضمانا لمستقبل ابنته الوحيدة، ووجد في ذلك ما يبعث في نفسه الارتياح والاطمئنان عليها حتى يتركها ذات يوم وحدها في مواجهة الحياة الصعبة»[2]؛ إن المرأة تعادل الأرض، أو تعادل الديمومة والحفاظ على الهوية من الضياع؛ فهذا الزواج يضمن الاستقرار والراحة ويجنب وقوع أزمات أو ما شابه،لتبقى (الكاملة) وفية لزوجها رغم كل المحن، فهي ترى الماضي في عزائها ومنفذها الوحيد، مثَّل زمن الاستذكار هنا بؤرة مهمة حين سلط الضوء على ماضي الشخصية (الهوية) إذ أفشى سر تعلق المرأة بزوجها .

يزداد الحلم بالماضي من خلال عمل الذاكرة في هذا الإطار؛ إذ تتماهى الذاكرة بالتاريخ إذ تسعى (الكاملة) بذاكرتها إلى محاولة ربط الماضي بالحاضر واستبعاد جزئيات وتفاصيل الحياة، بحثا عن هوية جديدة مما يجعلها تعيش على وقع الحلم المرتبط بالماضي فالذاكرة هنا «قوامها إعادة إحياء الماضي عن طريق استحضاره بواسطة عدة أمور أحدها يساعد الآخر كي

---

[1] – الرواية، ص 107-108 .

[2] – الرواية،ص109

يعيد إلى الذاكرة أحداثا ومعارف مشتركة »[1]؛ لذا تقوم بسرد دوافع (خالد) نحو الثورة ؛ إنها تشكل بالنسبة له الحلم الذي طالما أراده من أجل تحقيق كينونة جديدة « لقد كانت الثورة هي المنفذ الوحيد، الذي ظل خالد وأمثاله ينتظرونه ويحلمون به ولكنهم لا يعلمون من أين يأتي ولا متى سيأتي، أو كيف سيأتي، إنه الحلم الذي ظل يراوده، ويسكنه وينتظر تحققه في يوم ما لأنها كانت الأمل الضائع الذي ظل يبحث عنه، ويداعب من أجله أعماق النفس المقهورة وكأنه يبحث عن شيء تحت الرماد الدافئ»[2]، هذه الذكرى تستحضرها لتبحث عن حل لما يؤرقها فهل مصير من ضحى لأجل البلد يكافئ بهذا التجاهل والإصرار على طمس معالمه باقتراحات وخدع لدفنه برأس لا ينتمي لجسده، إنّ هذه الذكريات مهما كان ألمها ووطأتها شديدين على نفسية " الكاملة "إلا أنها تجد عزائها في فهم ما يدور حولها.

هذه الحوادث الماضية تزداد وطأتها على(الربيع) الذي تظل سرديات أو أحداث الماضي مسيطرة على حياته، وتمنعه من التطلع إلى المستقبل يعيش في حالة قلق قصوى يفشل في حياته العاطفية، مما يضعه تحت ضغط رهيب «إنك تعود الآن وأنت تحمل في طياتك وفي داخلك أشياء كثيرة من الماضي المغتصب الذي عشته، والذي لم تعشه وأغلبها مؤلم وحزين ومن الحاضر الذي يحاول أن يقولبك كما يريد، وتحاول أنت أن تقولبه كما تريد، ومن المستقبل الذي لم يصلك بعد، والذي أنت تحلم به، وترسمه في صور جميلة»[3]؛ فهذه العودة من الغربة تحمل في طياتها أحزانا كبيرة عاشها (الربيع) في وطنه؛ إذ تتعاظم في نفسه خيبات الماضي فيُقدَّمُ بلا ملامح أو هوية مكتملة.

يصطدم (الربيع) عند عودته بمجموعة من الآلام؛ فالبنت التي أحبها وعشقها لم يجدها كما كان يأمل« لكن المفاجآت كانت تنتظره، وكانت غير سارة وهو الذي كان يتوجس كثيرا من ذلك؛ إذ أن أحد أحلامه بل أجملها وأعذبها، والتي طالما نسجها وكثيرا ما تمتع بها، قد اغتيل

---

[1] – بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 ص79.

[2] – الرواية، ص121.

[3] – الرواية، ص 155.

في غيابه بل اغتصب من ورائه، ودون علم منه، لقد تزوجت تلك التي كان يحبها، وظل يحبها حتى وهو هناك في حياة الغربة ينسج أحلامه الجميلة، ويبني صروحها التي يعتقد أنها ستسعده ذات يوم ويسعدها تلك التي كان قد وعدها »[1]، هذا الفقد يجعله غريبا عن نفسه، بل يتسلط عليه بقية حياته، يراوح مكانه المليء بالخيبات، بعد أن فقد كل أمل في أن يحيا سعيدا في وطن ضحى لأجله والده، تعرض للمضايقات بسبب الجمجمة، لم يحقق له الوطن الموعود شيئا، هاهو يعود ليجد حبه وأمله قد غادر إلى غير رجعة.

هذا الأمر يجعله يلوم نفسه لماذا عاد إلى وطن الخيبات والنكبات « فهل كان من الأفضل له ألا يعود من هناك ليعرف هذه الحقيقة المرة ؟ أم كان من الأفضل له ألا يرحل إلى هناك أصلا، مثلما كانت أمه تتمنى وتقمع أمنيتها لكن الأمر انتهى الآن ولا داعي للمفاضلة بين هذا وذاك كنت ذات يوم، وأنت تحمل بين طياتك وفي دواخلك طموحا كبيرا وأحلاما جميلة ورغبة لا تحد في الكسب؛ ولكنك أضعت قبل أن تكسب، فماذا كسبت وماذا أضعت»[2]؛ إن هذه الخيبة التي تشكل منعرجا حاسما في نفسية (الربيع) إذ يجد نفسه منفصلا عن حاضره وهذه الذكريات هي «استعادة للذات الضائعة باكتشاف معنى الاستمرارية في شيء ما أو الانتماء إلى شيء قد ضاع إلى الأبد»[3]؛ فالهجرة نحو المجهول نابعة من تسلط الفقد والهزيمة والانكسار؛ فهو لم يستطع بدأ علاقة جديدة بسبب هذا الأمر وكذلك يغدو الفقد مزدوجا عندما يتذكر ما فقد في وطن لم يقدم له شيء، سرق شبابه وسرق أحلامه، وقبلها سرق والده « لعله يعود للضياع لكي يلملم ما أغتصبه الضياع، ذلك الضياع الذي صار يسود روحه، ويسود كل أفكاره، ويسود الأمكنة التي تركها ذات يوم وهو يعود إليها الآن مكللا بالضياع، لقد أضاع أباه ذات يوم، ولم يشعر فيه حينها حتى بطعم الحزن عليه، ثم أضاع بعد ذلك حبيبته التي كان قد وعدها بأشياء جميلة، ولكنه لا يدري كيف انتزعت منه، وأخيرا أضاع من بقي له، أمه التي لم يودعها، ولم

---

[1] – الرواية، ص 157–158.

[2] – الرواية، ص 159.

[3] – نضال الشمالي : الرواية والتاريخ، ص 136.

تودعه في لحظاتها الأخيرة فماذا سيلملم من كل ما جادت به هذه الحياة وماذا سيحاول أن يستعيد من كل هذا الضياع المتعدد الذي صار يحاصره ويناوئه»[1]

فكل ما يحيط به وينتظره مرادف للحزن والأسى؛ الماضي يسيطر على الحاضر ولا يستطيع الانفكاك منه أو العيش بعيدا عنه يدخله في دائرة اغتراب نفسي؛ إذ ينفصل عن المحيط الواقعي ويظل في دائرة تذكارات ماضية أو أوهام غير قابلة للتحقق؛ إذ يعيش (الربيع) على آمال الثورة ونتائجها ليفسر بها إخفاقاته المتتالية فهذا «الالتفات إلى الماضي بل الاندفاع نحوه للتذكر فيه والدعوة إليه والتعلق بالذكريات والبحث عن القيم الاجتماعية والاعتبارية هو حنين إلى زمن أفل وصراع مع زمن مهزوم»[2]

تظل أحداث الثورة عنصرا بارزا ومهيمنا في تفسيره لحاله ومآله «هناك الثورة التي صارت من الماضي، ومن التاريخ الذي يلقن في المدارس وتسترجع ذكرياتها في المناسبات تلك الثورة التي صنعها جيل أبيه، وعاشها هو وجيله سنواتها الصعبة، وبأشيائها المرة،الأموات والجثث والإعاقات والتشوهات والسجون والجوع والعراء وغيرها من الصور البشعة التي مازالت تلاحق الناس في صورها الحاضرة وذكرياتها المحزنة في أعماق النفوس المقهورة، ومن بين هذه الأشياء كلها هناك حبه المغتال غدرا من ورائه وفي غيابه وموقف أمه من هذا الحب ومن تلك العلاقة التي كانت تشم رائحتها ولا تراها وتلمح إليها ولا تصرح بها »[3]؛ فالثورة وآمالها المعطوبة هي الماضي الذي كان حاضرا ومتغطرسا في تشكيل هذه الهوية المتشظية غير المكتملة باعتبارها« الشاغل الذي يسكن الفرد ويؤثث الفضاء الذي يعيش فيه، عبر فعل التذكر ونزف الذاكرة » [4]؛ فهذه الأحداث تلازم حياته ولا تجعله خارجا عن إطارها، بل وتجعل ذاكرته أسيرة لماض عنيف لا يستطيع الخروج منه وينهزم أمامه.

---

[1]– الرواية، ص 172.

[2]–لرواية، ص 172

[3]– الرواية، ص 181.

[4]–إيمان العامري : صورة الثورة التحريرية، مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، جامعة 20 أوت سكيكدة، ع10، 2015 ص 172.

إن الماضي يسيطر على أبطال الرواية، ولا يستطيعون الخروج منه أو التغلب عليه تتبلور في هذا السياق من خلال خضوعها التام للثورة؛ فكل الأحداث والتصرفات تقع أسيرة للماضي ولا تنزاح عنه أو تقاومه، فتصبح الهوية مزيجا بين صراع الزمنين أو سياقين تاريخيين الأول مرتبط بالماضي (زمن الثورة) والآخر بما بعدها، لتعود الغلبة للأول على حساب الثاني فيصبح الفرد وفيا من غير قصد لما مر به، ويجعله من ثوابت شخصيته وهويته، من منطلق إلقاء اللوم على ما مر به دون أن يجد مبررا لذلك؛ أي أن الهوية تبقى خاضعة لسلطان التاريخ ولا تستطيع مقاومته أو الانفكاك عنه، إلا بماذا يُفسر لجوء (الربيع) إلى رهن الحوادث التي مر بها إلى الماضي التاريخي لوطنه ككل«إنها الذاكرة المتعبة تتحرك وتعمل باستمرار منذ أن عاد من غربته؛ إنها تنبش في كل ماضي من حياته بما فيه تبحث عن ذاتها وعن أشيائها التي أضاعتها وما أصعب الحياة حين تعمل الذاكرة وحين تجد ما يتعبها وما يستفزها ويثيرها ؟

إنها الذاكرة المتعبة ترحل به بعيدا في الأزمنة ودون استئذان، لكي تعيده إلى ماضيه وماضيها معا فتذكره حينها بأشياء كثيرة كانت قد مرت به ومر بها في حياته، أشياء تخصه وأشياء لا تخصه، ولكنه عاشها»[1]، هذه الذاكرة التي تشكل الهوية لتصبح كما يقول "بول ريكور" :« تقود مباشرة إلى التاريخ لأنها هي الحاملة الأولى للتاريخ؛ إذ أنها المصدر الأول لمعلوماته »[2]؛ فالهوية هنا مرتبطة بالأحداث الماضية، والبعد الماضي هو التاريخ المرتبط بالحقبة الاستعمارية ومرحلة الثورة التي لم تحقق المأمول إنما عملت بعد الاستقلال على الإقصاء، هذا الأخير حرم الهوية من استكمال صيرورة بناءها كما يجب؛ فما طرحته الرواية هو حنين الفرد أو الذات إلى فتح سجلات الماضي لإعطاء بعد جمالي خيالي على الحاضر إذ تتخذه الهوية كمسار لفضح ما أغفلها أو حال دون اكتمال صيرورتها، وبخاصة إذا عانت من أزمات حاضرة أو خيبات ناتجة لسطوة الماضي على حياتها ومستقبلها.

---

[1] – الرواية، ص 185.

[2] – بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص 16.

5. الهوية ومرجعية التاريخ :

يتأسس الوعي بالتاريخ في الرواية من منظور سيطرة أحداث الثورة باعتبارها المهيمن على مصير شخصيات الرواية، التي تظل وفية في تفكيرها لهذا الإرث الثقيل الذي تجعله نقطة مهمة في تفسير ما تمر به من صعاب ومشاكل، كما تجعله بمثابة المقدس الذي قد ينتج لها بعض الحلول؛ إن التاريخ بالنسبة للهوية كما يقول "عبد الله العروي" «هدف للتغيرات الكونية في وجدان الإنسان بذاته، ومحيطه ومستقبله»[1].

أول التعالقات بين الهوية والتاريخ ، واعتبار هذا الأخير مرجعية هامة في بنائها هو الحديث عن فظاعة المستعمر في محاولة النيل من هوية الجزائري الذي رفضه، ورفع السلاح لمجابهته؛ إذ لا يكتفي بقتل المجاهدين، بل يجرهم إلى الساحات العمومية محاولا فرض نوع من الإذلال على جثثهم والتنكيل بهم « بعد مدة وجدت نفسها تتوسط القرية بشوارعها الضيقة وبناياتها البسيطة وهي تمسك بيد طرية ناعمة وتضغط عليها بانفعال لا إرادي، وتتقدم نحو الجثة الملقاة هناك بغير انتظام، وبغير احترام وأمامها يقف قلة من الناس، ومنهم من كان يحاول جاهدا إخفاء تأثره وإسكات ما يختلج بداخله، لقد وُضعوا هناك كي يتعرف عليهم الناس وهناك دعوة مغرية إلى ذلك، كما عرضوا أيضا للترهيب والتخويف، واللافتة المثبتة فوق رؤوسهم شاهدة على ذلك، بل وتؤكد الدعوة»[2].

هذا المشهد يحاول ربط الهوية بالوقائع التاريخية؛ إذ يظل مسيطرا على مصير (الكاملة) ومصير (الربيع) إلى غاية نهاية الرواية؛ فهذه الثورة تلعب من خلال فعل التضحية وبشاعة الممارسات الاستعمارية ركيزة مهمة في التطلع للآمال المستقبلية، وفعل رفض (الكاملة) لسفر ابنها لفرنسا نابع من هذه الرواسب التاريخية التي خلفها الاستعمار؛ إن الثورة تغدو محركا

---

[1]ـ عبد الله العروي : ثقافتنا في الضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط7، 2014 ، ص 09.

[2]ـ الرواية، ص 33.

للهوية ومسيطرا عليها في جميع مجالات حياتها وطرق سيرها فالهوية «انتماء واحد يحصر البشر في موقف متحيز ومتعصب »[1].

هذا الموقف يتجلى في الحلم بالماضي وجعل الثورة في منزلة القداسة،وجعلها مرادفة للخيبات التي لازمتها في المستقبل« لقد كانا ضحية الظروف التي خدعتهما وغدرت بهما وحاكت لهما ما أرادت ثم فاجأتهما، أمه فقط يبدو أنها كانت ستشعر كل ذلك وتتوقعه بل تخشاه ولذلك كانت ومن البداية تحذره، مما هو مقبل عليه بين حين حتى وإن كانت تكتفي في ذلك ببعض التلميحات التي تدرك أنه كان يفهمها دون أن تصرح فلقد كانت تقرأ في سلوكه وحتى ملامحه بعض الأشياء التي كان يخفيها فتلجأ حينها إلى أن تعطي إشاراتها التي كان يقرأها ويستوعبها بصمت ولكنه يعجز عن تنفيذها »[2]؛ إنَّ هذا الفشل الذريع الذي صاحب مسار الزوجة والابن هو سماحهما لصيرورة التاريخ في اللعب بتوجهاتها؛ فقد اختارا منذ البداية البقاء وفيين للشهيد عن طريق عدم تقديم جثته التي ترمز إلى التضحية والثورة وفترة النضال الذهبي إلى السلطات الرسمية بعد الاستقلال، مما حرمهما من تأسيس مسار جديد لهوية مستقبلية ترضى بالظروف والمستجدات؛ إن هذا الوفاء لتاريخ الشهيد، يقابله نكران من المحيط الاجتماعي والثقافي والرسمي؛ فالجثة هي رمز للوطن التائه الباحث عن هوية جديدة تمحوا آلام الاحتلال، وما المساومات والمضايقات التي تعرضت لها العائلة بعد الاستقلال إلا دليل على هذا، العائلة التي حاولت الحفاظ على تاريخها (الجثة) لكن كل الظروف كانت تعمل ضدها وتحاول جعلها قابعة في صيرورة الماضي دون التطلع إلى الحاضر أو المستقبل.

تفعل (الكاملة) كل شيء لتحافظ على التاريخ (الجثة)، متحدية السياقات التاريخية الرسمية فتقوم بانتهاك الأعراف بغية تحقيق المرجو والمتطلعِ إليه من قبل زوجها « وما إن خيم الظلام في تلك الليلة وساد وهدأ كل شيء واحتوت الأشياء بعضها بحميمية، حتى كانت جثة الرجل التي فقدت رأسها في المعركة، قد هربت من قبرها الذي احتواها إلى قبر آخر

---

[1]– أمين معلوف : الهويات القاتلة، تر: نهلة بيضون، دار الندي، دمشق، سوريا، دط ،1999، ص 46.

[2]– الرواية، ص 189.

وبطريقة سرية لا يعلمها أحد إلا عدد قليل من الرجال الذين تحدوا ونفذوا الأخطار،لا أحد يعرف من هم إلا هي وهم ولا أحد يعرف ماذا كانوا يفعلون هناك في ظلام الليل إلا هي إنها المهمة الفريدة من نوعها، بل الغريبة والمرعبة»[1]، هذا التحدي الكبير، تراه (الكاملة) بمثابة الحفاظ على عهد الزوج؛ فكيف ترضى أن يدفن بدون رأس وكيف ترضى أن يبقى في مقبرة هو غريب عنها؛ إن هذه الفكرة التي تحاول طرحها هي أنها لن تسكت عن الواقع بل سترفضه وتغيره مهما كان الثمن.

هذا الخروج عن المألوف هو اتجاه لجعل(الكاملة) تؤسس التاريخ كما تريد إنه تحرر من استبداد التاريخ الذي تمثله الأعراف الاجتماعية وهذا من منطق «أن جزءا كبيرا من البشرية يسعى للتحرر مما يتعرض له من استبداد التاريخ، ولا يُعدُ السبل القصيرة لذلك، إلا أن هذه السبل التي يهتدي إليها هي بالذات تلك التي توفرها آخر الأشكال المتحجرة من التاريخ»[2] فتحرير الجثة من المقبرة هو رسم لهوية جديدة للبطل (الشهيد) التي ترى أن الأعراف الاجتماعية قد حرمته منها وهذا الإصرار يجعلها تعيش في دائرة سردية جديدة مقتنعة بما فعلته ومسرورة جدا، فكيف لا وهي قد أعادت الاعتبار لفقيدها من خلال نقله إلى مكان آمن ريثما توفي له الدين بكامله عن طريق إرجاع رأسه المفقود « كانت المقبرة رهيبة رهبة الموت الذي ينتشر فيها ويحرسها منذ وجدت؛ ولكنها كانت هادئة هدوء من فيها وهي تودعه إلى حيث لا تدري، ثم كانت الربوة بعد ذلك جميلة وهادئة، ولكنها كانت نافرة ولعلها كانت مبتهجة بقدوم ساكنها الجديد والفريد؛ ولكنه لم يكن غريبا عنها، لقد عاد إليها ليسكنها بعد أن سكنته وستحتضنه وستنفرد به عن غيرها من الروابي الأخرى؛ إنه غائبها الذي يعود إليها بعد شوق وحنين »[3]؛ إذن تحقق الزوجة ما يشبه النصر للجثة، وتغدو الجثة في علاقة حميمة وألفة مع الربوة التي تشكل لها معطى هام، فالمكان الجغرافي يربط الفرد بنفسيته ويعيده إلى مستوى الحلم

---

[1] – الرواية، ص 49– 50.

[2] – داريوش شايغان: أوهام الهوية، تر: محمد علي مقلد، دار الساقي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص70.

[3] – الرواية، ص 50.

الأول أو إلى فترات كان المكان خير ركن يأوي إليه، وهذا الارتباط بالمكان والإصرار الذي تجسده (الكاملة) في نقل الجثة إلى الربوة هو« شعور الفرد بالهوية إذ يستمدها بإحساسه أنه منتم إلى هوية ما، يحس بأنه ليس مجرد فرد نكرة إنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف»[1]، وهذا ما تقدمه الرواية على لسان (الكاملة) حول المرمى أو الهدف من الدفن في الربوة « لقد عاد إليها ليسكنها بعد أن سكنته وستحتضنه وستنفرد به عن غيرها من الروابي الأخرى؛ إنه غائبها الذي يعود إليها بعدد شوق وحنين، ومن بعيد كانت تحاول أن تخترق الظلام الدامس لترى ما كان يحدث هناك وكيف يحدث وكيف سيكون ذلك التحول في الرابية، وقد يكون في الكون كله؛ ولكنها لم تر شيئا من كل ذلك، أما أحاسيسها فقد كانت تنقل إليها أشياء كثيرة وجميلة عن ذلك، حينها كان هناك حيث أرادته أن يكون، وحيث كان يجب الجلوس في كثير من أوقات راحته مستلقيا ومتأملا أو راحلا»[2] تشكل الرابية ذلك الإطار الماضي من حياة (خالد) وهذه العودة هي عودة الماضي، الذي كان يحبه ويرتاح إليه لكن هذه العودة تبقى غير مكتملة؛ فالجثة بقت دون رأس مما يجعل سيطرة التاريخ الحقيقي أو الرسمي أمرا غير قابل للجدل والمرأة تنتهي حياتها دون أن تحقق المطلوب أو المأمول .

ترسم الرواية صورة ملحمية للثورة وعظمة المقاومة؛ إذ تحضر هذه الفكرة داخل الرواية فالثورة في هذا المقام هي الحكاية الإطار، وإنما أرادت الرواية تأسيس رابط تاريخي بين القارئ وفترة هامة في تاريخ الجزائر، كل هذا بهدف تعميق البعد التاريخي في الهوية فالثورة «هي المرجعية الإيديولوجية والفنية التي تنطلق منها أغلب الروايات، حيث تنعكس الثورة الجزائرية في الخطاب الروائي من خلال تصوير بطولات المجاهدين والفدائيين والمسبلين »[3]، تقدم الرواية هذا البعد التاريخي لتربط المتلقي بالجانب المشرق في التاريخ الجزائري « فجأة الثورة

---

[1]– عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غيش : الهوية الوطنية الفلسطينية ، مركز بديل للنشر، غزة، فلسطين، دط، 2012 ص 10.

[2]– الرواية، ص50– 51.

[3]– إيمان العامري : صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية،ص 173.

وفجأة كان الانفجار الذي راح يعم البلاد شيئا فشيئا، لقد كانت كالبركان الذي يهز منطقة ما من العالم ولم تكن تتوقعه من قبل ولكن الناس لم يهربوا منها كما يهربون من البركان، ولم يرفضوها كما يرفضون البركان وحممه المتوهجة التي يقذفها بغير رحمة وبغير انتظام»[1].

هذا الحدث العظيم سيغير الوجدان والشعور ويغير من بنية التفكير،ويؤسس لخلق علاقات جديدة؛ فالفرد سيعمل على استمداد القيم منها فالثورة الجزائرية هي شريعة جديدة قدمت نفسها كبديل لأنماط الحياة السائدة، بل أضحت مكونا وركيزة في لاوعي الفرد والمتأمل أن أغلب أنماط الحياة أضحت مستمدة من نضال وبطولات الثورة هنا تغدوا أسطورة لتجاوزها حدود المعقول في تضحيات شعب أراد أن يحيا دون قيود، الثورة هي هوية جديدة في مواجهة سياسة الطمس التي مارستها فرنسا، ولا عجب أن يظل تاريخها مرجعا مهما في تحديد توجهات الهوية.

إن هذا الحدث العظيم قلب موازين التفكير، ولأول مرة أحس الفرد الجزائري أن له هوية حقيقية « لقد كانت مفاجئة، وكانت عنيفة، لكنها كانت تسير على نظام، وتهدف إلى تحقيق شيء محدد في حياة الناس،لأن أولئك الناس هم الذين أشعلوها أو جزء منهم هو الذي أوقد نارها ولذلك كانت مفاجئة لكثير من الناس، وشغلت في بدايتها بال الكثيرين، فراحوا يطرحون الأسئلة ويتأملون التغيرات التي تحدثها، ويتابعون الأخبار التي تتحدث عنها،ثم راحوا يلتفون حولها ويعتنقونها بسرعة، وبحماس فياض وبخاصة منهم فئة الشباب،لأنها الفئة التي تحلم أكثر من غيرها وتدافع باستماتة عن آمالها وأحلامها المقهورة بقوة بل بعنف إذ اقتضى الأمر ذلك»[2] فلا غرابة أن تظل الثورة هي جوهر تفكير الإنسان وماهيته، فهي تربطه بالوجود، وما عودة (الربيع) إلى أرض الوطن إلا خير مثال، فالوالد كان ينتظره؛ الوالد هو رمز للتاريخ الحاضر على المستوى الذهني أو على مستوى نمط اللاوعي فكل فرد أو شخصية في الرواية ترتبط بهذا التاريخ؛ إذ تعبر الرواية من خلاله عن المضمون الاجتماعي والسياسي والثقافي

[1] – الرواية، ص 120.

[2] – الرواية، ص 121.

للثورة، وفق رؤية عامة تحاول أن تبقى تقاربا بين الفرد والثورة لتغدو هذه الأخيرة نقطة هامة في حياة الجزائري، الذي لا يمكنه فهم حاضره إلا من خلال العودة إلى ماضيه الذي أنتج له هذه الشروط والمكونات التي تشكل مفارقة في حياته.

فـ(الربيع) الذي عايش زمن الثورة وزمن الاستقلال يبقى أسيرا لفقدان الجمجمة حتى تتحول هذه الحادثة في ذهنه إلى ما يشبه الذاكرة التاريخية التي تطغى على حياته وبقية عمره فالإصرار على نقل الرميم من مكان إلى آخر هو بحد ذاته تاريخ متفرع إلى عدة مناحي تاريخ الثورة والاستقلال، والانتقال بين الأماكن يدل على عدم رضا الفرد على بعض الممارسات التي تصل إلى حد التمرد والرفض لقبول أي حل أو أي سلطة، المهم هنا هو تمسك(الربيع) بالرميم وبحقه في أن يرتاح عندما يجد جمجمته «كل الجماجم مستريحة في أماكنها إلا جمجمة أبيه التي لم يعثر عليها بعد، وقد لا يعثر عليها وبذلك بقي أبوه خارج هذه الحسابات حتى الآن،لقد ماتت أمه من قبله وكانت لها محاولات دائبة في أن تعيد الوضع إلى نصابه ولكنها لم تستطع ثم جاء هو من بعدها وها هو يحاول ولكنه لم يحقق شيئا من ذلك بعد، ويبدو أن الأمل في ذلك قد أصبح ضعيفا وسيبقى هذا الرميم الذي ما زال يحتفظ به بدون جمجمة، وإنه لشيء مؤسف ومؤلم حقا، فهل سيبقى الرميم هكذا مشردا لا يعرف الراحة ؟ هكذا راح يسأل نفسه ويعيد السؤال»[1]؛ فالرحلة التي مرت بها الجثة هي إشارات إلى رحلة الفرد في فترات تاريخية لم يأنس لواحدة منها غير أن مرجعه الرئيس كان الثورة التحريرية التي ظلت تلقي ظلالها عليه، ومنه فالهوية هنا«لا تكتمل ولا يبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه الجغرافية والتاريخ»[2]؛ وإن تعددت الأماكن التي جالت فيها الجثة فإن التاريخ (الثورة) يبقى المرجعية العليا لها والتي لا

[1] – الرواية، ص 212.

[2] – محمد عابد الجابري : العولمة والهوية والثقافة، مجلة المستقبل العربي، ع 224، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، فبراير 1998، ص 14.

تتحقق بدونها؛ فلولا الثورة لما عانى الرميم وعانى ذويه، والثورة كذلك تنكرت له ولم تحفظ عهده.

تطرح الرواية علاقة وثيقة بين التاريخ والظروف الاجتماعية الصعبة التي عان منها الشباب بعد الاستقلال، فنجد أن الفرد ظل ينظر بعين من الأمل والسعادة للتاريخ راجيا أن يحقق له بعض المستلزمات التي كانت تنقصه في الماضي، لكن فجأة لم تحقق الحياة الجديدة أي طموح للشباب فصار«الفرد رافضا بكل صراحة كل أو بعضا أو جل قيم المجتمع وأعرافه وتقاليده»[1] هذا الرفض يتجلى في فعل الهجرة الذي يغدو في هذه الحالة ابتعادا عن التاريخ ومحاولة لخلق عالم جديد عن طريق رفض كل المظاهر المتعلقة بنمط الحياة السائد في فترة ما، يصطدم (الربيع) بعد الاستقلال بعالم لا يختلف عن العالم في الماضي، وتتمثل الهجرة في الرواية في بعدين الأول هجرة في سبيل البحث عن حياة جديدة، تصاحبها رغبة في العودة لخدمة الوطن « كثيرة هي الأوطان التي تفرض على أبنائها أن يهجرونها، ويبعدوا عنها،هذا ما تعلمناه في الحياة يهجرونها بالمحبة تارة فيأخذون حبهم لأوطانهم في قلوبهم ويذهبون بعيدا يتمتعون بذلك الحب سرا،أو يتألمون به أو له، ومنهم من يهجرها بغير محبة، فيغيب عن وطنه كارها أو مكرها، وقد يأخذ حبه معه، وقد يتركه وراءه ويذهب وحيدا إلى غربته تلك باحثا فيها عن حياة أخرى وعن حب آخر يعيش به أو له وعن جو آخر يتنفسه، وينعش به رئتيه المتعبتين ويملأ قلبه حزنا وألما »[2]؛ فالهجرة هنا تأخذ احتمالين الأول؛ هجرة نابعة عن قناعة وفي سبيل الحصول على فرصة لتحسين الحياة والثانية هجرة إجبارية بسبب رفض الفرد لواقع أليم أو لظروف تاريخية يراها لا تستطيع تقديم أو خدمة أو إضافة للحياة .

عندما يفكر (الربيع) في الهجرة كان أمله هو العلم والدراسة ثم العودة إلى وطن يحاول رد جميله من منطلق الوفاء لتضحيات والده ولمبادئ الثورة التي تحتم عليه كابن شهيد إكمال المسيرة التي تركها والده، والمساهمة في بناء الوطن وحماية القيم من الزوال « في المرة الأولى

---

[1]– نبيل راغب: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 56.

[2] – الرواية، ص 165.

كان ذلك بالحب وفي المرة الثانية كان بالكره إذ حمل نفسه في المرة الأولى حبا في العلم وحبا في وطنه الذي هو بحاجة إلى العلم، وهاجر يبحث عنه في البلاد الأخرى، تلك البلاد التي قالت عنها أمه إنها بلاد الذين جزوا رأس والده ذات يوم، ومع ذلك فقد هاجر إليها بحثا عما افتقده في وطنه، فعل ذلك لأنه أحب وطنه؛ ولأنه يريد أن يكتشف ما هو موجود في العوالم الأخرى، تلك العوالم التي ظل يخافها أو يهابها»[1].

فالهجرة هنا تمثل نوعا من الوفاء؛ فالتعلم يخدم البلد، وخدمة البلد هي عهد واستمرار لمعركة الكفاح ضد الجهل والفقر والتخلف؛ فلا تختلف هذه المعركة الجديدة عن معارك حرب التحرير وهذا المستوى الذي يتحقق بفعل الهجرة هو تدعيم للتاريخ البطولي فالشهداء طردوا والمحتل والجيل الجديد من واجبه طرد التخلف والرقي بالوطن نحو الأفضل .

لكن هذه الآمال سقطت بسبب سيطرة السياسيين والانتهازيين الذين صورّوا أن تاريخهم النضالي يتيح لهم التصرف في طاقات البلاد وخيراتها وأن نضالهم كان لأجل خدمة المصالح الشخصية؛ فيقرر الهجرة ثانية رفضا لهذا الواقع الموجود فقد شاءت الصدف أن تظل هويته مرتهنة مرة أخرى بتاريخ جديد يمثله بعض الفاشلين « أما في المرة الثانية فقد طرد نفسه بنفسه إذ حملها على الهجرة هروبا من شيء كان يحاصره ويقهره ويؤلمه ولا يستطيع تقبله كما لا يستطيع مقاومته ولا حتى تحمله؛ إنه يهرب أو يطرد، لا فرق بين هذا وذاك إذ النتيجة واحدة والهدف واحد، غربة وتخلص مما يضايقه، ذلك هو كل ما يريده »[2]؛ فقد ضاق ذرعا من ورثة الشرعية التاريخية التي فرضت نفسها كهوية كبرى على مكونات الشعب وخانت عهد الشهداء كل هذه الحوادث تبقى آثارها خالدة في شخصية(الربيع) الذي لا يستطيع تحملها ويرفضها لكنها تجبره في الأخير على العودة ليبقى تائها بدون هوية؛ فالتاريخ أقوى منه، وهو لا يرحم ولا يترك الفرصة لأحد قول أو فعل ما يريد.

---

[1] – الرواية، ص167.

[2] – الرواية، ص167.

وبالفعل ينجح هؤلاء الجدد في فرض سيطرتهم على الوضع؛ فهم مناضلون ولهم الحق في إعلاء كلمتهم دون مواجهة من الآخر لأن التاريخ يقف في صفهم، والآخرون يحترمون هذا التاريخ ويجعلونه مقدسا إذ كيف يعارضونه وهم يدينون له بالوفاء والتضحية، فينصب هؤلاء أنفسهم مرجعا في حماية ثوابت الأمة، في الأخير يتدخل رجال الثورة الذين ورثوا الاستقلال في أن يطلبوا تسليم الرفات دون شروط، كيف لا وهم ورثة البلاد ومرجعيتها العليا «لقد رضخ في الأخير للضغوط التي توالت عليه وراحت تشتد وتزداد أكثر، وكان للحلم الذي رآه قبل أيام فعله في نفسه؛ فراح يحاول تكييف الأمر بما يرضي كل الأطراف أو كذلك كان اعتقاده، لقد قبل في النهاية أن يوافق على إعادة دفن رفات أبيه الشهيد للمرة الثالثة؛ وقد تكون الأخيرة، حتى يتجنب إقحام جمجمة غريبة على الرفات، وهو ما صار محتملا جدا وحتى يريح والده الذي قال له في حلمه إنه قد تعب من الوضع الذي هو عليه؛ وإنه يريد أن يستريح، وله كل الحق في أن يستريح بالفعل مثلما يستريح الآخرون»[1].

هذا الاستسلام للواقع تمليه بعض الظروف؛ فالزمن أو الوقت تغير ووطأة رجال الثورة تزداد ويزداد معها نفوذهم فما عليه إلا الاستسلام مرة أخرى لمجريات التاريخ الذي لم يمنح له حق المفاوضة أو التفاوض«ثم امتدت يداه المرتعشتان إلى الصندوق وحمله بين يديه ومشى به في رهبة وخشوع ليقدمه في جو مهيب إلى السلطات التي ظلت تنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر مدة طويلة وفي الخارج الجموع حاشدة، وكانت الأعناق مشرئبة كلها ناظرة، وكلها منتظرة؛ لكن قلبا واحدا كان يخفق بل ينتفض هو قلبه، وعينان وحيدتان كانتا تذرفان دموعا سخية وحارة هما عيناه»[2].

إن هذا الاستسلام للواقع الجديد يتبلور من فكرة أن الهوية المقدمة في الرواية لا يمكن أن تكون أحادية؛ أي لا يستطيع شخص واحد أن يشكل وحده هوية منفردة: كالشهيد أو الزوجة أو الابن إنما هي محصلة تفاعل بين عدة أطراف يلعب الجانب التاريخي دورا بارزا فيها .

---

[1] – الرواية، ص 233.

[2] – الرواية، ص 235.

أرادت رواية" الرميم" طرح المرجعية التاريخية كمسار فعال في بناء الهوية من خلال ربط مسارات شخصياتها بالثورة التحريرية؛ فتصبح الهوية كيانا نفسيا واجتماعيا مرتبطا بالتاريخ وقيمه التي أرادت الثورة تأسيسها؛ فالهوية من منظور تاريخ الثورة شكلت ميزة ثقافية لتصف بها حال الشعب الجزائري الذي ظل وفيا لقيم الثورة في مختلف فتراته الزمنية، وهذه القيم هي المسؤولة عن توليد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لقومية ما والارتباط بالوطن والتعبير عن مشاعر الفخر والاعتزاز؛ فـ(الربيع) في نهاية المطاف يفضل أن يدفن واله ولو بدون رأس إلى جانب رفاقه الذين سقطوا في ميدان الشرف .

إن دفن الجثة أكثر من مرة يحيل إلى الوطن الذي بقي تحت سيطرة تاريخ ثقيل من محاولات طمس الهوية، ويحيل إلى الهوية المتشظية، التي رغم ذلك ظلت قوية بفعل جهود الأبناء المخلصين لها؛ فالشعب أو الفرد أو الهوية الجزائرية تعتز بتاريخها وتجعله مرجعية عليها لها رغم كل العوامل التي تحاول أن تكسرها.

6.الهوية وثنائية الأنا والآخر:

تتحدد الهوية كما تمت الإشارة في الفصل الأول، من منظور الأنا والآخر فأنا لا يمكن أن أعرف ماهيتي أو كينونتي دون أن يكون للآخر حضورا أو انطباعا في تفكيري.

يشير مصطلح الأنا في الدراسات النفسية إلى ذلك « الجانب الواعي من الشخصية، كما أنه يشرف على كل وسائل الحركة؛ أي تفريغ التهجينات في العالم الخارجي وهو المنطقة العقلية التي تشرف على جميع العمليات الذهنية»[1]، في النصوص الأدبية نجد الأنا «شخصيات تمثله أو كشخصيات تعد وظائفها من الأساس وظائف الأنا، أي أنها تتناول علاقة الفرد ببيئته وبنفس الأسلوب يمكن أن نجد الأغراض والمؤسسات والظواهر الأخرى التي تمثل الأنا أو تعكسه»[2]؛ فنجد في الروايات –على سبيل المثال – الأنا الذي يرادف مفهوم الشخصية في سعيها نحو التحرر، وتنفيذ طموحاتها الكبرى التي تسعى إلى استكمالها ولو على حساب القيم والمعارف الراسخة في وجدان المجتمع التي تنتمي إليه.

تظهر شخصية (الربيع) الرافضة لكل القيم والمبادئ التي تنص على احترام العادات والتقاليد واحترام التاريخ من خلال عدة مؤشرات، أوّلها هجرته إلى الوطن يحمل بالنسبة إلى أمه آلاما كبيرة، ووقوعه في حب فتاة فرنسية تجمع بينهما رواسب تاريخية قاسية إذ يجسد (الربيع) الأنا الجزائرية التي عانت من ظلم الاستعمار الفرنسي، والتي قاومته لكنها رأت أن طرد المحتل لم يكفها؛ لأنها لم تحقق ما تريد رغم التضحيات الكبيرة التي قدمها الشعب في سبيل نيل استقلاله «لم يمض وقت طويل حتى جاء من القرية خبر عن وقوع قتلى في الاشتباك أمس ومنهم ثلاثة تعرض جثثهم، منذ الصباح الباكر،في ساحة القرية أمام الثكنة العسكرية، لمن يتعرف عليهم، وفوقهم قد رفعت لافتة كتب عليها بخط كبير هذا مصير كل الخارجين عن

---

[1] – سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، ط4، 1984، ص 31.

[2] – آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي، تمهد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط1 2003، ص60.

القانون وتحتها عبارة أخرى مغرية، من يتعرف عليهم ينال مكافأة معتبرة»[1] وشاءت الصدف أن يكون والد (الربيع) أحد الذين استشهدوا في هذه المعركة مقدما نفسه هدية لنيل الاستقلال تكبر هذه الأوجاع والآلام في نفسه؛ فهو لم يتعرف على والده لأن أمه أخفت هذا السر عنه في سعيها الدائم نحو استرجاع الجمجمة وفشلها في الحصول عليها مما يولد اغترابا للأنا يرتبط بالناحية النفسية لـ(الربيع) الذي يغدو شابا لا يعرف مصير والده.

يحمل (الربيع) هذا الغضب في قلبه بعد الاستقلال لأنه كان جاهلا تماما لما يحدث في هذه الأجواء « رغم أنه لم يكن يعرف حينها أن أحد أولئك الثلاثة هو أبوه الذي صار متغيبا عن الدار منذ مدة وأن جثته هي تلك التي قطع رأسها والتي رآها وتأملها بكل ألم، حتى ارتسمت صورتها المرعبة في أعماقه البريئة، بل استقرت هناك إلى الأبد»[2]، هذا الجهل يجعل في نفسه عدة ضغوطات وحمولات بالكره للآخر، ويفتح في قلبه أو ذاته بعض الثغرات التي يحس من خلالها أن هويته غير مكتملة الوضوح؛ فهو يقف حائرا أمام معطيات هذه الحياة لكن تبقى النفس الإنسانية ساعية إلى معرفة الآخر ومعرفة هذا العالم الجديد الغريب عنه الذي يطالعه في الكتب« كان يتمنى أن يرى العالم الآخر ولو في الأحلام وقد ظل ذلك الحلم ينمو ويتشكل في داخله إلى أن صار رغبة ملحة ثم هدفا منشودا ليس حبا في ذلك العالم ولا في أهله؛ وإنما هي رغبة مغلفة دائما بأغلفة متعددة ومختلفة فهناك غلاف الحقد وغلاف حب الاستطلاع وهناك أغلفة أخرى لم يستطع أن يجد لها تعريفا أو تفسيرا؛ لأنه عالم غريب بالتأكيد»[3]، هذا الحقد يظل مسيطرا على الأنا التي تتحرك بموجبه ولا تستطيع الانفصال عنه ولو أمام المغريات التي تقدمها هذه الحضارة الأخرى.

---

[1]– الرواية، ص31.

[2] – الرواية، ص 46.

[3] – الرواية، ص 147.

يحمل الأنا في هذه الرواية«صورة ومعرفة لأصول حضارية وثقافية وتاريخية التي ينشأ بموجبها المجتمع، وتكون سببا في تطوره»[1]، وبالتالي يحاول فرض نفسه وثقافته في هذا المجتمع الجديد وتظهر أولى بوادر الصدام بين الأنا والآخر من خلال وقوعه في حب فتاة فرنسية، التي تصرح له بهذا الحب؛ لكنه يرفضه« إنني أحبك فعلا أحبك، لقد وجدت نفسي واقعة في حبك رغما عني، وأجدني مجبرة على أن أقول لك هذا الكلام الذي لم أقله لأحد غيرك.

–ليس من أهدافي أن أسيء الظن بأحد،بك أو بغيرك، فذلك ليس من طبعي أبدا ولكنني لا أستطيع أن أسير معك في هذا الطريق؛ إن ما تطلبينه صعب جدا، ولن أستطيع أن أحققه لك إذ ليس من عادتي أن أخدع أحدا وقد يحدث أن أكون مخدوعا في حياتي ولكنني لا أحب أن أكون خادعا، لقد تعلمت هذا من أمي دون أن تلقنني إياه، صدقيني بيننا حواجز كثيرة وموانع تمنعنا عن ذلك»[2]، يضع(الربيع) حواجز تاريخية أمام هذا الحب فيرفض مجرد التفكير به وهذا من منظور رؤيته السيئة عن الآخر؛ فهو ينظر بنوع من الضعف إلى هذه العلاقة، فالأنا هنا تبرز من ناحية المستعمَر الذي لا يمكن أن يتطلع إلى غيره؛ إذ تمنعه هذه الثنائية (المستعمَر أو المستعمِر) من التفكير في أي علاقة أو أي صلة بها، لاسيما أنه يضيع كل الماضي التاريخي نصب عينيه ولا يستطيع الفكاك منه، هذه الفتاة هي في الأصل رمز لفرنسا في تفكيره، وبخاصة أن وفاة والديها كانت على يد والده الذي استشهد بعدها وتسبب في يتمه وضياع جمجمته التي كانت وراء رحيله واختياره مغادرة الوطن والابتعاد عنه بعيدا .

يحمل (الربيع) طابع الأنا الرافض للوضع انطلاقا من معارضته قرار السلطات في تسليم جثة والده « وكذلك استأنف المهمة التي تحملتها أمه من قبله ولم تستطع إكمالها، صحيح أنها بذلت المزيد من الجهد، وتحملت الكثير من المشاق وجابت كل المناطق التي راودها فيها

---

[1] – حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، الطاهر وطار أنموذجا، دار الغريب للتوزيع والنشر، الجزائر ط1، 2005، ص 103.

[2] – الرواية، ص194– 195.

الشك»[1]؛ إذ يفضل رغم قناعته – بأنه يعمل في العبث– أن يظل وفيا لهذا العهد الذي قطعته والدته على نفسها، ويرفض مفاوضة السلطات، هذه الثورة التي تقودها الأنا هي« ثورة على الواقع الاجتماعي و ثورة الوعي على هذا الواقع المأزوم»[2].

تظل الأنا تمثل المعارضة لكل السياقات التاريخية من خلال مواقفها ونمط تفكيرها الذي تجابه به هذا الآخر مهما كان عرقه أو جنسه، فهي تظل تحاول أن تجد هوية خاصة بها بعيدة عن كل اعتبارات وما مثال (الربيع) الذي يثور على هذا الواقع المأزوم ويرفض الارتباط بمن كان لهم سبب في المآسي التي عاشتها الجزائر إلا خير دليل على قوة الأنا وتمسكها بقيمها الثابتة ودفاعها المستميت عن كل ما تملك.

إن قوة الأنا في الرواية تفضح جميع الممارسات التي ارتكبها الاستعمار في حق شعب أراد الحياة تفضح البيئة الاجتماعية التي تعترف بمنطق القوة، وما الاستلاء على منزل والدته بعد موتها إلا خير دليل، تفضح ممارسات الساسة الذين يتاجرون بدم الشهداء وما الإغراءات التي قدمت للابن والزوجة إلا مثال على ذلك، تفضح ممارسات المسؤولين الذين اختزلوا تاريخ الثورة في شعارات موسمية وبعض الزهور التي توضع على قبور الشهداء في الأعياد الوطنية، تفضح خيانة عهد الشهداء وما الجماجم التي كان يُأتى بها لإرضاء والدته إلا مثال حي عن حجم الخدع المنهجية التي حاولت السلطة تطبيقها.

يرتبط وجود الأنا بوجود الآخر «الآخر متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، والذات في استبعادها للآخر إنما تستبعد الإنسان »[3] الذي لا يوافقها في حياتها أو يرفض جميعا لأشياء التي تريدها .

يشتغل مفهوم الآخر وفق رؤية أو استراتيجية خاصة فـ" حضوره في كل عصر هو استجابة لطبيعة العصر التاريخية والثقافية، وهو اشتغال في عصر التحديات الثقافية على أوسع

---

[1] – الرواية، ص 209.

[2] – حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، ص108.

[3] – ميغان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص23.

نطاق»[1]؛ فالآخر يبقى ذلك المعارض للذات والذي تنتجه سياقات معروفة ببعدها القائم على فكرة فرض السيطرة على أي توجه كان.

كما تتحدد فكرة الآخر من حيث كونه « الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك لأن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة؛ فقد يتحدد إليِّ بالقياس كفرد، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء إلى الأغنياء، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة أعم»[2]، من هذا المنطلق تتوضح صورة الآخر المعارض للأنا في رواية " الرميم" إذ تتوضح هذه الصورة في عدة مستويات، المستوى الأول هو الآخر الغربي أو الاستعمار الفرنسي والمستوى الثاني هو المجتمع في كل أحكامه وأعرافه القاسية، والمستوى الثالث هي نموذج للآخر الغربي البعيد عن كل الحساسيات التاريخية ممثلا في الفتاة الفرنسية التي أحبها (الربيع).

لاشك أن الاستعمار الفرنسي قد فعل المستحيل لإخضاع الشعب الجزائري لجبروته، فلم يكتف باحتلاله، بل عمد على إبادته عن طريق الجرائم التي ارتكبها، تصور الرواية هذه الفضائح الرهيبة التي قامت بها فرنسا في حق شعب أعزل، عن طريق الانتقام منه ومحاولة إسكات الثورة عن طريق قمع الأهالي بآليتها الحربية الهمجية التي لا تميز بين شيء حي أو جماد « ما هي إلا لحظات حتى غاب ما كان سائدا، وحضر ما كان غائبا، غاب الهدوء وتمزق الصمت وحل الرعب والهلع ذلك أن طائرة مجنونة قد حلت فجأة وراحت ترش المنطقة بطلقاتها كيف كان وتزرع الموت والرعب في كل مكان، ومن الناس من اختبأ تحت شجرة أو دخل أو ارتمى في حفرة أو احتمى بصخرة، ومنهم من لم يجد ما يحتمي به فراح يجري في أي اتجاه كان»[3]؛ إن هذا المشهد المؤسف والمحزن يكشف حقيقة الآخر الاستعماري الذي جاء

---

(1) – غالبا حسن الشبندر: الآخر في القرآن، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق، د.ط،2007،ص35.

(2) – محمد الخباز: الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص23.

(3) – الرواية، ص21.

لينشر الثقافة فتحول بقدرة قادر إلى وحش وآلة للقتل؛ فمحصلة هذه الإبادات هي اغتيال حلم الناس البسطاء في الحرية « وهكذا في لحظات قليلة أضيفت إلى أحزان ذلك اليوم صورة بشعة وبائسة من صوت الموت المرعبة، وفقدت تلك الربوع وهي تتهيأ لتوديع الشمس إلى مغربها أربعة من أبنائها الطيبين الذين كانوا بصدد تحقيق أشياء تريحهم وتبهجهم وتنعش في نفوسهم في تلك الأمسية وتبعث فيهم الراحة والاطمئنان، ولكنهم لم يكونوا وحدهم الذين قضوا نحبهم دون أن يحققوا أهدافا كانت نصب أعينهم؛ فكم من الناس من اصطادهم الموت فجأة وهم يتأهبون لتحقيق أشياء ظلوا يحلمون بها فتضيع منهم وقد تتحقق لغيرهم من بعدهم»[1]

تكتشف الرواية القناع وتزيله عن صورة الآخر الذي يدعي القيم الإنسانية؛ إن هذه القيم هي قناع يخفي وراؤه جحيما هو الموت والإبادة فالصورة التي ترسمها الرواية للآخر « لا تقوم عفوا ولا ترتسم في خلو عن كل تصميم أو سبق تقدير وفقط»[2]، وهذا عائد إلى خلفية الصراع التاريخي بين(الأنا) الطامح للحرية والانعتاق من القيد، و(الآخر) يسعى جاهدا إلى محو هذه الأحلام من الوجود.

والصورة الأخرى تتمثل في الآخر الذاتي أي المنتمي إلى نفس ثقافة الذات، إلا أنه تنكر للقيم وأضحى لا يختلف عن الآخر الغيري، هو المجتمع بأعرافه وتقاليده القاسية التي تستهدف الأنا وتعيق كل أمالها وطموحاتها نحو تحقيق هويتها وتفردها في أي غاية أرادت يتضح هذا المفهوم في تلك المعارضة الشديدة التي قابلت عائلة الشهيد« قوبلت باللوم والعتاب وحوصرت بالنظرات المريبة والمغلفة بكثير من الاستفهامات الحائرة، ثم تحول ذلك إلى الترجي، وطلب الموافقة فقط على إعادة دفن رفات الشهيد، ونقلها من حضن الرابية التي تضمها إلى حيث تم تجميع رفات الشهداء الآخرين في مقبرة خاصة بهم؛ ولكنها أبت ذلك وأعلنت رفضها للعملية من أساسها، وكلما زادوا في إلحاحهم وطلبهم كلما أصرت هي على رفضها، حينها وجهت لها تهمة خرق قوانين الدفن السائدة ومخالفة الأعراف الشائعة ومجاوزة ما هو معمول به في ذلك

---

[1]– الرواية، ص 22.

[2]– محمد الخباز: الآخر في شعر المتنبي، ص 25.

ولكنها لم تكن تعبأ بما كانوا يقولونه ويدعونه ويتهمونها به، ولم ترضخ لضغوطهم المستمرة ولا لتهديداتهم المتواصلة»[1]، فالمجتمع والسلطة في هذا الموقف تؤسس نفسها ضمن نطاق الآخر الذاتي فعوض أن تلقى هذه المرأة الترحاب والتشجيع على موقفها الجريء، وتلقى المساندة والدعم وبخاصة أنها أرملة شهيد، لقيت الرفض بسبب إصرارها على الحفاظ على جثة فقيدها بعيدا عن الشعائر والرسميات المفتعلة.

ويتمادى الآخر الذاتي في ممارسة حيله ضد الأنا من خلال فضح الرواية لتصرفات أقارب العائلة واستلائها على ممتلكات العائلة بعد وفاة الوالدة «ثم كانت المفاجأة حين وصل بل كانت مفاجآت تنتظره، وما كان ينتظرها ولا فكر فيها أبدا فقد وجد نفسه أضاع بعد وفاة أمه وفي مدة قصيرة جدا شيئين آخرين عزيزين عليه، المنزل الذي يعود إليه الآن وأضاع الأرض التي مات من أجلها أبوه؛ فالمنزل سكنه أحده أقاربه الذي تزوج حديثا والأرض استحوذ عليها بعض أقاربه أيضا، وراحوا يستغلونها، وكل ذلك بحجة حماية الأرض من البوار ومن أطماع الآخرين، وحماية المنزل المهجور من الفساد ومن اللصوص والحشاشين والخمارين والقمارين وأهل السوء الذي حولوه إلى وكر لهم مثلما أخبروه»[2]؛ إن هذا التمادي من قبل الآخر الذاتي (المجتمع) يفضح حقيقة البشر؛ فعوض أن يحمي هؤلاء حق هذا اليتيم، نجدهم يستغلون أرضه، مما يزيد في قناعة الأنا أن هؤلاء ليسوا سوى أهواء ومصالح خاصة؛ فهذا الجشع يجعل الأنا تقع في عدة مخاوف إذ يعمل الآخر بكل ما أتي من قوة على إضعافها ومحاربتها فهو«سيظل مصدر تهديد لها ومن هنا قد أصبحت الذات مهددة مرتين من ناحية المحافظة على أصالتها وهذا يعني التخلف عن الآخر مما يحقق لها التواصل والتعايش»[3]، وهذا ما يحاول الابن تجسيده في سعيه نحو محاولة التأقلم مع محيطه الجديد ومقاومة الآخر عن طريق إثبات حقه في الحياة«إنه يعود إليها لأجل ذلك وحده، يعود إليها ليستأنس بها ويتأملها ويتمتع

---

[1] – الرواية، ص 83.

[2] – الرواية، ص 176– 177.

[3] – ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 21.

بها ويرى فيها نفسه من جديد ويرى فيها ماضيه وماضيها الذي تحمله أوسمة على قمم جبالها الشامخة وفي وهادها المستلقية وروابيها النافرة أبدا»[1]؛ لكن هذه العودة إلى الحياة تبقى تشكل بالنسبة للأنا ضياعا؛ فالآخر له من الحيل والمكانة ما يجعله قادرا على إخضاع الأنا؛ إذ تعود المساومات من جديد حول قضية الجثة ويرفض هو في البداية، لكن قدرة الآخر على خلق التفوق تتجلى فيرضخ للأمر الواقع.

لعب الآخر الذاتي دورا خطيرا في كبح رغبات الأنا من منطلق اقترابهما وتلاقيهما في مفهوم الهوية والمعطيات التاريخية مما مكنّ هذا الآخر من معرفة خبايا الأنا وإخضاعها لسيطرته المطلقة،فالسلطات الرسمية أو المجتمع اتحد ضد هذه العائلة وأجبرها على تسليم الجثة وكان ما كان.

الصورة الأخيرة حول الآخر تتجلى في الآخر المختلف الذي يحمل القيم النبيلة رغم بعده عن ثقافة الأنا؛ لكن الظروف التاريخية تمنع من إقامة جسر معها، ويتجلى بالضبط في الفتاة التي وقعت في حب(الربيع) رغم كونها تمثل ثقافة أخرى إنها فرنسية، وفرنسا هي سبب آلام الجزائريين والأبعد هي من عائلة ماتت على يد الوالد (خالد) وهي من الأقدام السوداء الذين استغلوا ونهبوا ثروات البلاد؛ لكنها تسعى بكل قوة إلى إقناعه يتجاوز الماضي من منطق التفوق والأصالة التي تحتفي بهما لكن دون جدوى« يبدوا أنك لم تتخلص بعد من رواسب الماضي الذي سكنك، أو لعلك لا تريد التخلص منها أليس كذلك .

- بلى هو كذلك بالفعل وسأكون صادقا معك أكثر إذا قلت لك إنه لا يسعدني أبدا أن أتخلص من ماضيَّ لأنني أعتبر ذلك خيانة كبرى لنفسي ولماضيَّ الذي هو جزء مني وأنا جزء منه ولا أحب أن أتخلص منه أبدا، لقد شردنا وقهرنا ويُتمنا وعانينا أشياء كثيرة و فضيعة جدا ذلك هو ماضينا الذي أنا جزء منه، ذلك هو الماضي الذي لا أستطيع أن أتخلص منه لأنه إرثي ورأسمالي فلقد مات أبي ميتة بشعة»[2].

---

[1] – الرواية،ص182

[2] – الرواية، ص 195-196.

لا تستطيع الأنا الخروج من دائرة الماضي، وبدأ حياة جديدة أو إقامة علاقة ناجحة مع الآخر المختلف من منطق أن الهوية هنا« تلعب دورا بالغ الأهمية في تركيز مفهوم الأنا في مقابل مفهوم الآخر حين ينظر إلى الهوية بوصفها تلك الخصوصية في التفرد التي تشير إلى مجموعة من الصفات الملازمة لشيء ما لتقدمه بشكل مغاير، وتشير خصوصية الهوية إلى ذلك النسيج الخاص بها والقادر على جعلها مغايرة لأي هوية أخرى وهذه الخصوصية لا تظهر إلا من خلال العلاقة مع الآخر »[1]؛ فالإرث التاريخي يمنع الأنا (الربيع) من مجرد التفكير في حب هذه الفتاة،والتي قُدمت دون اسم في محاولة لإلغاء وجودها؛ فالماضي السيئ الذي تركته الحرب التحريرية يجعله ينظر إلى الآخر من موقف الضعف وعدم التسليم بإمكانية الحوار والتعايش معه في هدوء وانسجام.

غير أن الآخر يظهر في هذه الرواية وفي هذا الموقف من منطق التعالي والقبول بالحوار إذ تؤسس الفتاة لما يمكن أن نطلق عليه« حوار هويات أو تنازع هويات بحسب طبيعة العلاقة بينهما في الزمان والمكان»[2]، وهذا من خلال استعداد هذا الآخر لتجاوز الماضي رغم بشاعته وجعل التاريخ مهمشا في تكوين الهوية« وجثة أمي كانت كذلك أيضا فقد قيل لي أنها قد ذبحت ذات مساء من الوريد إلى الوريد، وفُجِّر صدر أبي برصاصتين ولم يسمح لي حينها برؤيتهما قبل أن يدفنا لبشاعة الصورة، التي كانا عليها رافقتهما من هناك وهما ينامان في صندوقين جميلين ولم أكن أحمل معي حينها إلا دموعي ومأساتي ولكن ذلك كله أصبح من الماضي ذلك هو قدرنا وأنا وأنت لسنا المسؤولين عن ذلك صدقني إذا قلت لك إنني أحبك مع كل هذا الماضي البشع الذي فرض علينا والذي تنام صوره المشوهة وذكرياته المؤلمة في أعماقنا، ولا تريد أن يبرحها ولن تبرحنا كصور؛ ولكن يجب أن نتخلص منها كأحاسيس ومشاعر مؤلمة»[3].

---

[1]– محمد صابر عبيد: المتخيل الاستشراقي– الأنا والآخر–، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2015 ص63.

[2] – المرجع نفسه، ص63.

[3] – الرواية، ص 196–197.

يفرض الآخر هنا نوعا من المصداقية في مخاطبته للأنا الذي يظل أسيرا لرأيه وقناعاته وربما هذا الرفض من قبل الأنا يعزز ضعفها وتفوق الآخر عليها والأنا هنا تُصور بهذا الفشل من منطلق توجه الرواية التي تجعل التاريخ مرجعية هامة في بناء الهوية؛ فلو قبلت الأنا هذا العرض القائم على تجاوز الماضي لضاعت الهوية وضاع التاريخ الذي يحركها ويغديها.

وختاما يمكن أن نخلص في هذا الفصل إلى مجموعة من النقاط:

- تخضع الهوية في رواية"الرميم"إلى رهانات الواقع المؤلم أوسيطرة الظروف التاريخية عليها؛ فيغدو الواقع أقوى من الهوية فالجثة دفنت دون رأس لتحيل إلى الفشل في الحفاظ على عهد الشهداء والمرأة لم تحقق ذاتها وأملها فهي ماتت دون أن تجد رأس الجثة وفشلت في رحلة بحثه وتعرضت للمساومات ولم تستطع بدأ حياة جديدة والاستقلال كان أقوى مما كانت تأمل إذ لم يحقق لها المرجو، أما الابن يفشل كذلك من منطلق أنه لم يتعرف على والده، لم يستطع تحمل الواقع فقرر الهجرة إلى فرنسا ولم يحافظ على وصية والدته وسلم الجثة للسلطات.
- تُطرح ثنائية جدل الماضي والحاضر من خلال استسلام الهوية لماضيها دون القدرة على مجابهتها أو رفضه وجعله كحل لجميع المشكلات الراهنة؛ فالحنين إلى الماضي يمنع الزوجة من الارتباط وتذكارات الزوج تظل تسير حياتها، والحلم بالثورة وآمالها يمنعها من النظر نحو الأفق الجديد، والابن يظل أسير زواج محبوبته ولا يستطيع التخلص من هذه الذكرى، وفقد الأب يظل ساكنا في عقله لا يفارقه.
- أما عنصر الهوية ومرجعية التاريخ؛ فقد حمل ارتباط الهوية بالثورة أو التاريخ المشرق من خلال الوصف للثورة ودلالة الرأس المقطوع على أنه هوية ناقصة، وكذا محاولة ربط القارئ بالثورة عن طريق إضفاء هالة سحرية عليها، كما بينت الرواية ارتباط الواقع بالتاريخ من خلال تسليط الضوء على هجرة الشباب بعد الاستقلال وطرحت ولادة رجال الشرعية التاريخية من خلال سيطرتهم على الوضع وإرغام الآخر على قبول نزواتهم فقد أرغمت السلطات الابن على تسليم الرفات دون المقاومة منه.

- طُرحت قضية الهوية بين الأنا والآخر من منظور علاقات التعارض بين هذين المفهومين فالأنا مجسدة في(الربيع) يفضح الممارسات الاستعمارية ومناهضته للقيم الجديدة التي وجدها بعد الاستقلال إذ يحاول ربط نفسه بالتحديات التي يواجه بها الآخر والآخر بدوره يعمل كقوة مضادة للأنا فالاستعمار سعى إلى طمس معالم الفرد الجزائري إذ يشكل بالنسبة إلى الأنا الآخر الغربي المتعارض معها، وهناك آخر ذاتي ممثل في المجتمع الذي يزعج عائلة الشهيد ويحاول استغلالها، وآخر مختلف ممثل في الفتاة الفرنسية التي تسعى إلى جعل الأنا منسجما معها لكنها تفشل في ذلك فالأنا يظهر وفيا لمرجعيته التاريخية.

خاتمـــة

خاتمـــة:

من خلال ما تقدم ذكره يمكن أن نخلص إلى النقاط الآتية:

- لا يمكن الإلمام بمفهوم واحد للهوية وهذا نتيجة تعدد مدلولاته وتعدد مجالات اشتغاله وفق مجموعة من التخصصات؛ إذ لا يمكن حصرها في إطار واحد.
- تُرادف الهوية في الغالب، مفهوم الشخصية في ميدان الإبداع الأدبي وقد تأتي فردية أو تعبر عن منظور جماعي.
- ترتبط الهوية بعدة عناصر أبرزها البيئة الحيوية التي تشمل الوسط الجغرافي أو المحيط البيولوجي للفرد، والمكون التاريخي الذي يشمل تاريخ الأفراد والأحداث الكبرى التي كان الأثر البالغ في بلورة نمط حياة الإنسان، والمكون الذهني وهو نمط التفكير في فترة ما عند جماعة ما.
- التاريخ هو جملة من الحوادث الماضية، التي ترصد حياة الإنسان في حقب مختلفة ويشمل ما أنتجه في تلك الفترات .
- يتقاطع التاريخ مع بعض الأجناس الأدبية، وبخاصة الرواية في فعل السرد فالروائي والمؤرخ يلتقيان في أنهما يؤلفان حياة مجموعة بشرية، غير أن الروائي يجنح إلى التخيل والمؤرخ يتحرى الدقة والحقيقة إلى أبعد الحدود.
- تستدعي الرواية التاريخ لكن تقدمه في قالب مغاير يميل إلى التخيل أكثر من ميله إلى الحقيقة؛ فالتاريخ في الرواية يتمظهر تحت سلطة المتخيل، لكنه يبقى تحت هيمنة المرجع.
- عادة ما تمثل الهوية ثقافيا عن طريق وجود تعارض بين الأنا والآخر، وذلك بواسطة قدرة هذه الأخيرة على محاورة كيانين متعارضين.
- يلعب الأنا والآخر دورا مهما في تحديد المسارات التاريخية للهوية عن طريق إبراز مظاهر الصراع والاحتكاك بين تيارين أو ثقافتين متعارضتين.

- تتفاعل الهوية والتاريخ داخل الرواية لتثير أسئلة الوجود ودور المحطات الكبرى كالثورات والحروب في تشكيل هوية جماعية، وربط الفرد بتاريخه وجعل التاريخ أكبر المؤثرات على الإنسان.
- يعمل التاريخ على صهر وحدة الأفراد وهوياتهم داخل إطار واحد حتى يتحقق الاستقرار الفكري والنفسي لهم؛ فهو الذي يحدد أساليب وطرائق تفكير الجماعة.
- تطرح رواية "الرميم" الهوية والتاريخ من منظور خاص يبحث دور الثورة في توجيه السلوك الفردي وجعل الهوية خاضعة لسيطرة هذه الحادثة على مستقبل الجزائر وأفرادها.
- تتعارض الهوية مع رهانات الواقع؛ إذ تبقى الشخصيات تائهة وحائرة مستسلمة للرهن الذي أفرزته الثورة؛ فتصاب بالفشل ولا تستطيع التأقلم مع معطياته، ولا تجد سبيلا للتخلص من سطوته.
- تسيطر سردية الثورة باعتبارها تشكل الماضي على شكل الهوية فالمرأة لم تستطع أن تبدأ حياة جديدة؛ إنما تظل وفية لذكريات أوجها وترى أنها لم تحقق له المطلوب.
- يعيش الربيع (الابن) على ذكريات الثورة مما يشكل له حيرة في حياته؛ فيضطر إلى الهجرة بحثا عن الجديد لكنه يفشل في ذلك.
- تدخل الهوية في دائرة صراع بين الماضي والحاضر وتبقى وفية للماضي وأسيرة له كأنها تبحث عن بديل للحاضر فنجد هذه الذكريات الماضية خير مثال للتأقلم فيه.
- تشكل الرواية بأحداثها التاريخية مرجعية للهوية فيظل التاريخ (الثورة) أهم محطة في بلورة الوعي والإحساس والانتماء .
- تريد الرواية جعل الثورة بمثابة المقدس، وذلك من خلال ربط القارئ بوعي ثوري من خلال تصوير الثورة ومآثر وبطولات شهداءها، وكذا الإشارة إلى الخيانة التي تعرض لها هؤلاء.
- يسهم الأنا والآخر داخل الرواية بدور فعال في بلورة الهوية؛ فالأنا يفضح تجاوزات الآخر والآخر يسعى إلى السيطرة على الأنا واستعمال كافة الوسائل الممكنة للهيمنة.

- تطرح قضية المستعمِر والمستعمَر في ثنائية تحاور وتصادم؛ فلا يستطيع أحدهما الإفلات من الظروف التاريخية وبالتالي لا يخرجان من دائرة الهوية الضيقة الوفية للتاريخ.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المعاجم:

1. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار الجديد، بيروت لبنان، ط1 2002.
2. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1 2004.
3. محمد بن منظور: لسان العرب، ج2، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، 2005.
4. محمد محمد داود: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، دط، دت.
5. المنجد في اللغة العربية المعاصرة: دار الشروق، بيروت، لبنان، 2000.

ثانيا: المصادر:

1. الأزهر عطية: الرميم (رواية) ، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2014.

ثالثا: المراجع باللغة العربية:

1. أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 2013.
2. أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، دار الأمة، بيروت لبنان، ط1 2011.
3. إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، 2012.
4. جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1 2013.
5. حاتم الورفلي: بول ريكور، الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، دط، 2009.
6. حسن حنفي: الهوية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط1 2011.

7. حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، الطاهر وطار أنموذجا، دار الغريب للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2005.
8. شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن ط1، 2005.
9. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر الجزائر، ط2 2009.
10. عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
11. عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، الدار العالمية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط3 2010.
12. عبد الرحمان بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، دار كنوز المعرفة عمان، الأردن، ط1، 2015.
13. عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ – سلطان الحكاية وحكاية السلطان–، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1 2010.
14. عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غيش : الهوية الوطنية الفلسطينية، مركز بديل للنشر غزة، فلسطين، دط، 2012.
15. عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي – السرد، الإمبراطورية، التجربة الاستعمارية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2011.
16. عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، تفكيك خطاب الاستعمار وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
17. عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 1990.
18. عبد الله العروي : ثقافتنا في الضوء التاريخ ،المركز الثقافي العرب، بيروت، لبنان ط7، 2014.
19. عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط4 2005.

20. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ط1، 1998.
21. عبير بسيوني: أزمنة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
22. غالبا حسن الشبندر: الآخر في القرآن، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق د.ط،2007.
23. فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، دراسات في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2010.
24. فيصل دراج: الرواية العربية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان ط1، 2004.
25. قصي عدنان محمد: سميائية العنوان في السرد القصصي، عالم الكتب الحديث الأردن، ط2، 2009.
26. محمد الخباز: الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان، ط1، 2009.
27. محمد القاضي: الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر تونس ط1، 2006.
28. محمد صابر عبيد: المتخيل الاستشراقي- الأنا والآخر-، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
29. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية والثقافة، مجلة المستقبل العربي، ع 224 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، فبراير،1998.
30. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3 2002.
31. نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط5، 2004.
32. نبيل راغب: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة مصر، ط 1، 2002.

33. نجم عبد الله كاظم: الآخر في الشعر العربي الحديث، تمثل وتوظيف وتأثير، المؤسسة العربية للدراسات والتسيير بيروت، لبنان، ط، 2010.
34. نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2006.
35. ياسين النصير: المكان والرواية، دار الشؤون العامة، بغداد، العراق، ط1 1986.
36. يمنى العيد: في القول الشعري، الشعرية المرجعية والحداثة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1999.

رابعا: المراجع المترجمة:

1. إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان ط3، 2004.
2. إدوارد سعيد: خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1 2000.
3. آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط1، 2003.
4. أليكس فيكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق سوريا، ط1، 1933.
5. أمين معلوف : الهويات القاتلة، تر: نهلة بيضون، دار الندي، دمشق، سوريا، دط 1999.
6. بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2009.
7. جورج شايلد: التاريخ، تر: عدلي برهوم عبد المالك، دار المعارف، القاهرة، مصر ط1، 1958.
8. داريوش شايغان: أوهام الهوية، تر: محمد علي مقلد، دار الساقي، بيروت لبنان، دط دت.

9. سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر ط4 1984.
10. طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 2010.

خامسا: المقالات العلمية:

1. إيمان العامري : صورة الثورة التحريرية، مجلة البحوث والدارسات الإنسانية جامعة 20 أوت سكيكدة، ع10، 2015.
2. بشير خلف: السؤال للهوية وصدمة العولمة، مجلة الباحث، ع14 بيروت، لبنان أكتوبر 1980.
3. ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية بغداد، العراق، ع1، مج 8، 2009.
4. صالح مفقودة: المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع02، جوان2002.
5. عبد الله إبراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، مجلة علامات، ع 23 أكتوبر 2002.
6. علاء عبد الهادي: شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مج36، ع1، الكويت، سبتمبر 2007.
7. قيس النوري: الاغتراب، اصطلاحا، مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر الكويت، مج 10، ع01، 1979.
8. نبيل سليمان: الزمن الروائي بين الواقع والتاريخ، مجلة علامات في النقد النادي الأدبي والثقافي السعودي، ع17، مارس 2000.

9. هجيرة بوسكين: تمثيلات الأنا والآخر في رواية المرفوض لإبراهيم سعدي، مجلة دراسات أدبية، الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع13 ديسمبر 2012.

سادسا: الملتقيات العلمية:

1. أعمال ملتقى الباحة الأدبي الخامس: الرواية العربية؛ الذاكرة والتاريخ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
2. أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية ، رابطة أهل القلم، سطيف الجزائر، دط، 2013.

سابعا: الرسائل الجامعية:

1. عبد الرزاق بن دحمان: الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة روايات الطاهر وطار أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2004.

ثامنا: المواقع الالكترونية:

1. عادل شهيب: الثقافة، الهوية، إشكالية المفاهيم والعلاقة، الموقع الإلكتروني:

http//www.avanthpose.com، صادر بتاريخ: 03 أكتوبر 2005، تاريخ الدخول: 10فيفري2017.

2. علي أحمد علي: حديث الهوية، جدل التاريخ والجغرافيا، موقع www.sodarisse.com// http صادر بتاريخ: 26-12-2010، تاريخ الدخول: 10فيفري2017.

مقدمة: .....أ- د

الفصل الأول: الهوية و التاريخ ـ مفاهيم نظرية ـ 09- 34

1- ماهية الهوية.....09

1- 1 مفهوم الهوية 09

1- 2 مكونات الهوية.....16

2- مفهوم التاريخ..... 18

3- الرواية وتمثيل الهوية..... 23

4- علاقة الهوية بالتاريخ.....27

4- ملخص الفصل.....33

الفصل الثاني: تمظهرات الهوية و التاريخ في رواية الرميم للأزهر عطية.....36 - 75

1 – ملخص الرواية..... 36

2 – تمهيد.....37

3- الهوية و رهانات الواقع.....38

4- جدل الماضي و الحاضر.....46

5- الهوية و مرجعية التاريخ.....55

6- الهوية وثنائية الأنا و الآخر.....65

الخاتمـــة.....77

قائمة المصادر والمراجع.....81

الفهـــرس

الملخص باللغة العربية والفرنسية

ملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بالهوية و التاريخ في رواية الرميم للأزهر عطية موضوع البعد التاريخي في إعطاء مفهوم جديد للهوية؛ لأن الهوية تتشكل إثر مجموعة من الوسائط الثقافية و الفكرية، وإن كانت الهوية ليست معطى جاهزا و إنما مجموعة من العوامل؛ فإن التاريخ يغدو مرجعا مهما في بناءها، على هذا الأساس طرحت الرواية ـ موضوع الدراسة ـ فكرة وفاء الانسان الجزائري لتاريخ الثورة و جعل التاريخ متجذرا في اللاوعي الفردي و الجمعي؛ فقد مثلت الهوية و التاريخ داخل الرواية من منظورات ترتكز على استسلام الهوية للواقع الذي أفرزه تاريخ الثورة من خلال عدم قدرتها على تجاوزه و البقاء في دائرته، و طرحت المرجعية التاريخية في موقف قوي في توجيهها للهوية الفردية؛ فالثورة أصبحت بنية فكرية مهمة رغم ما حصل بها بعد الاستقلال من بعض الانحرافات، هذه الأخيرة انعكست على الأنا و الآخر بمنظور مكن الآخر من السيطرة على الأنا و إحداث نوع من الانشطار على مستوى الهوية.

الكلمات الدالة:

الهوية . التاريخ . التمثيل . المرجعية التاريخية . الأنا . الآخر.

Résumé

Résumé :

Le présent travail dont l'intitulé est l'identité et l'histoire dans **" *EL RRAMIME*"** de LAZHAR ATYA, a pour objet, l'éclairage du rôle de la portée historique dans la formation de l'identité, étant que cette dernière est le résultat de la superposition de plusieurs couches culturelles et idéelles. D'autant que l'identité est une notion complexe d'un ensemble d'éléments, le patrimoine historique sera un élément référentiel dans sa composition.

En effet, c'est ce que se manifeste dans notre corpus, qui retrace l'encrage de l'histoire de la guerre de l'indépendance algérienne dans l'inconscient individuel et collectif de l'être algérien. De ce fait, l'identité se présente dans le roman soumise à l'histoire de cette guerre et incapable de le dépasser ou de s'en sortir.

Par ailleurs, l'histoire exerce une puissante force sur l'orientation de la formation de l'identité individuelle. Du fait, la guerre de l'Algérie reste une structure de pensée fondamentale malgré les détournements qu'elle a subis après l'indépendance nationale. Cela a influencé l'image du moi et de l'autre et a permis à l'autre de vaincre le moi en lui infligeant des fissures au niveau de l'identité.

Mots clés: **Identité, Histoire, représentation, la référence historique, le moi, l'autre.**